أَثَرُ النَّرْجِسِيَّةِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي

قراءة ثانية

د. مُحَمَّد مَحْمُود أَبُو عَلِيّ
أستاذ النقد والبلاغة المساعد
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب – دمنهور

العدد السابع والأربعون
يوليو 2016م

المُلَخَّص

يَهْدِفُ هذا البحث إلى إبراز أثر النرجسيَّة في شعر المُتَنَبِّي ، بوصفها ملمحًا بارزًا تَجَلَّى – بوضوحٍ – في سُلُوكه وشعره ، ويُعْنَى بإبراز نظرته إلى الحياة ، وموقفه من الناس ، وذوقه الخَاصّ .

لقد كان شَديد الإِعْجَاب بنفسه ، ينزع لإثبات ذاته وتوكيدها ، ويظهر ذلك في شعره ومواقفه مع الآخرين .

إِنَّ العَالَم النفسيّ الداخليّ للمُتَنَبِّي متشابكٌ ، يحوي كثيرًا من الأفكار والمشاعر ، وشخصيته مُتَعَدِّدة الأبعاد ، وهو رجلٌ ثائرٌ ، يَعْشَقُ الأمجاد ، عَمَلِيُّ النَّزْعَة ، لا يَهْتَمُّ إلا بذاته ، ولا يعبأ بمشاعر الآخرين أو مصالحهم .

وقد بَدَا لي أن النرجسيَّة تَنْطَبِقُ – تمامًا – على المُتَنَبِّي ، ومن ثَمَّ شَرَعْتُ في بحث دواعيها وآثارها عنده ، أو بعبارة أخرى أسبابها وأعراضها

وقد جاء البحثُ في تمهيدٍ ومبحثينِ وخاتمة ، واشتملَ التمهيد على تعريفٍ بـــ (النرجسيَّة) ، إلى جانب عَرْض النظريات المُفَسِّرَة للسلُوك النَّرْجِسي .

تناول المَبْحَثُ الأَوَّلُ أسباب نرجسيَّة المُتَنَبِّي ، وعَرَضَ المَبْحَثُ الثَّاني أعراض نرجسيَّة المُتَنَبِّي .

وقد انتهيتُ إلى أَنَّ النرجسية قد سيطرت على شخصيَّة المُتَنَبِّي ، وإليها يَرْجِع اضطرابه وتناقضه ؛ فقد كَشَفَ البحثُ عن إصابة المتنبي بالنرجسيَّة ، التي تظهر في الإحساس المُبَالَغ فيه بأهمية الذات أو التفرُّد ، وحاجته الدائمة لجذب الانتباه ، ومشكلات في التفهُّم لموقف الآخر ، والقلق الشديد ، فضلاً عن سمَة الانفعاليَّة المُتَمَثِّلَة في التهيُّج أو عدم الاتزان الانفعاليّ عندما يشعر بانخفاضٍ في تقدير الآخرين له .

وقد اقتضت طبيعة البحث الاستعانة بالمنهج النفسيّ الذي يدرس سُلُوك الشاعر وأثره في إبداعه ، والاستفادة من المنهج الفنيّ في تَذَوُّق النصوص وفهمها ، والرجوع إلى المنهج التاريخيّ في تتبُّع سيرة الشاعر وحوادث حياته .

The effect of narcissism in Al-Mutanabbi's poetry

This study attempts to foreground the effect of narcissism in Al-Mutanabbi's poetry as a featuring characteristic obviously

present in his work, which influenced his behavior and poetry. It frames his life philosophy, his attitude toward people and his own taste.

Al-Mutanabbi was self-centered tending to validate his ego, which is apparent in his poetry and his attitude toward others. Al-Mutanabbi's inner psychological realm is complicated. It embraces many thoughts and emotions. His character is multidimensional. He is also a rebel, who adores glories, a pragmatic and self-absorbed person who does not concern himself with people' feelings or interests.

It seems that narcissism is applicable to Al-Mutanabbi. Therefore, I have endeavored to study its motives and effects; or rather its causes and manifestations. This study is divided into an introduction, two chapters and a conclusion. The introduction gives a definition to narcissism, as well as theories that explain narcissistic behavior. The first chapter presents the causes behind Al-Mutanabbi's narcissism. The second chapter presents the manifestations of Al-Mutanabbi's narcissism.

This study concludes that narcissism has dominated Al-Mutanabbi's character. It stands behind his restlessness and contradiction. This study has revealed that Al-Mutanabbi suffered from narcissism, which is obvious in his exaggerated self-absorption, constant need to attract attention, problems in understanding the other's position, anxiety, and excitability, apparent in his agitation or emotional imbalance, when he feels underestimated.

Therefore, this study applies a psychological approach, which studies the poet's behavior and its effect on his innovation. It also used an artistic approach in dealing with and understanding the texts, as well as the historical approach in order to trace the poet's life.

مُقدِّمَة

يُعَدُّ المُتَنبي ظاهرةً فريدة في سَاحَة الشِّعْرِ العَرَبِيّ ، قديمه وحديثه ، لا يُمْكِن تكرارها ، أو إغفالها ، وقد مَلأ اسْمُهُ الدُّنْيا شُهرةً ، وشَغَل شعْرُهُ النُّقَّاد دَرْسًا ، وألهم الشعراءَ المعاصرينَ له واللاحقينَ به ؛ فقد امتلك ناصية الشعر ، وكانَ – بحَقٍّ – نسيجَ وَحْدِه غيرَ مُنَازَع ، فهو نَادرةُ زَمَانه ، وأُعْجُوبَةُ عَصْرِه ، ارتقى بشعره – الذي حوى خصائص جماليَّة وأغراض فلسفيَّة ومعانٍ منطقيَّة قلَّمَا تجتمع عند شاعر– إلى نهاية حُسْن الإبداع ، وحَظِي بمكانة لم يَحْظَ بها شاعرٌ آخر .

ومن الواضح أَنَّ أسبابًا كثيرة أسهمت في إكسابه هذا المَوقِع المُتَفَرِّد ، منها ما يَخُصُّ شخصيَّته وموهبته الشعريَّة ، ومنها ما يتعلق ببيئته من حيث النشأة ، والأحوال السياسيَّة ، والعوامل الاجتماعيَّة ، والجوانب الاقتصاديَّة ، والمُؤَثِّرات الثقافيَّة .

لقد أثار إعجاب الناس وغيظهم وحسدهم ؛ لفرط ثقته في نفسه ، وغُرُوره المُتَعَاظِم ، إننا عندما نقرأ شعرَ المُتَنبِّي قراءةً تليق بمكانته في عالم الشعر ، نتمكن من الكَشْفِ عمَّا يَكْمُنُ خَلْفَ الكَلمات من معانٍ وأفكارٍ وقيَم ، حينئذ ، قد نُوَفَّق في سَبْرِ بَعْضِ أغوار شخصيته العميقة ، التي ألقتْ بظلالها الكثيفة على شعره ؛ فأحاطته تارةً بالغُمُوض ، وتارةً أُخْرَى بالعُمْق والأَصَالـــة .

النرجسيَّة هيَ الحُبُّ المُوَجَّه إلى صُورَة الذات ، أي عشْق الإنسان لذاته الفرديَّة دون سِوَاهَا ، ذلك العشْق الزائد الذي يُوَلِّد الأَنانيَّة ، ويَجْعَلُ المَرْءَ مَدْفُوعًا – بقُوَّة قهريَّة لا يستطيع دفعها – نحو السيطرة على الناس ، والتفوُّق عليهم . والنرجسيُّ محرومٌ من القناعة والرضا ، لا يستقر – من القلق – على حالٍ ، ولا يذوق طعم الراحة ، وهو أتعب خلق الله ، ويَظَلُّ يَجْرِي وراء الجاه والمال ؛ ليَسْبِقَ الآخرين ؛ فهو الأحسن والأفضل ، ويريد أن يكون – دومًا – محطّ الأنظار ، وفوق ذلك فهو مُعْجَبٌ بنفسه كُلّ الإعجاب ، رافضٌ غيره كُلَّ الرَّفْضِ .

ونستطيع أن نقول إنَّ النرجسية هيَ المحور الذي دار حَولَهُ سلُوك المُتَنَبِّي الظاهر ، ودوافعه الخَفِيَّة والمُعْلَنَة ، ويُمْكِننا أَنْ نُرْجِعَ كُلَّ قولٍ أو فعلٍ صَدَرَ عنه إلى سيطرة هذه الآفة عليه .

أَهْدَافُ البَحْث :

لم أَجِدْ دراسة مستقلة منفصلة – فيما أعلم – أخذت على عاتقها محاولة الكشف عن أَثَر النرجسيَّة في شعر المُتَنَبِّي ؛ فَإِنَّ الدراسات التي ضَمَّتْ في جوانبها بعض الإشارات إلى هذه القضيَّة ذَكَرَتْ لمحات مقتضبة مُتَفَرِّقة لا تَفِي الموضوع حقَّه ، منها دراسة علي كمال التي انتهت إلى أن ظهور النرجسيَّة لدى المُتَنَبِّي نتج عن كَبْت الرغبة الجنسيَّة تجاه الجدَّة ، وتَحَوَّلَ هذا الكبت – بِدَورِهِ – إلى طاقة تُنمي الذات ، وإلى قوة دافعة لتقدير النفس [1] .

ودراسة يوسف سامي اليوسف التي ذهبت إلى أَنَّ بُذُورَ النرجسيَّة تكونت عند المُتَنَبِّي منذ طُفُولته المبكِّرة ؛ فَإِنَّ تَفَوُّقَهُ على زملائه في الصف ، وكذلك شعوره بالنقص الاجتماعيّ في صُحْبَة أولاد الأشراف الذين يُشَكِّلُونَ مُجْمَلَ الطُّلَّاب في مدرسته ، هما الدافعان اللذانِ دفعاه إلى هذا الموقف النرجسيّ المُبَكِّر ، الذي رافقه طَوَالَ حَيَاته [2].

أُحَاوِلُ في هذا البحث – القراءة الثانية – استجلاء خيوط واضحة للنرجسيَّة عند المُتَنَبِّي ، وآثارها في شعره وسُلُوكه ، والكشف عن وجود سمات شخصيَّة فريدة تُميِّز أبا الطَّيِّب ، وبيان مدى علاقة هذه السمات بنموذج الشخصيَّة النرجسيَّـــة .

مَنْهَجُ البَحْث :

تَعَدَّدَتْ المناهجُ التي يتكئُ عليها النُّقَّاد في تقويم النص الشعريّ ودراسته ، ولا شَكَّ في أن فَهْمَ شعر المُتَنَبِّي يتطلب أَنْ ننفذ من خلال معانيه إلى نفسيَّة صاحبه ، وقد استعنتُ بالمنهج النفسيّ الذي يهتم باللاشعور وتأثيره في سُلُوك الشخص ، والمنهج التاريخيّ ، في تتبُّع سيرة الشاعر وحوادث حياته ، إلى جانب المنهج الفنيّ في تَذَوُّق النصوص وفَهْمِها .

وقد جاء البحثُ في تمهيدٍ ومبحثين وخاتمة ، واشتمل التمهيد على تعريف بِـــ (النرجسيَّة) ، إلى جانب عَرْض النظريات المُفَسِّرة للسُّلُوك النَّرْجِسِي .

وتناول المبحث الأول أسباب نرجسيَّة المُتَنَبِّي ، وعَرَضَ المبحث الثاني أعراض نرجسيَّة المُتَنَبِّي .

تمهيد :

أولاً : النَّرْجِسيَّة (Narcissism) لغة واصطلاحاً :

تَرْجِعُ النرجسيَّة – من حيثُ اشتقاقها اللغويِّ – إلى أُسْطُورة **نرسيس** (Narcissus) اليونانيَّة ، ذلك الشاب الجميل **نَرْجِس** « الذي هَامَتْ به عرائس البحر ؛ فَصَدَّهُنَّ وانشغل عنهن بالصَّيد في الغابات ؛ حَتَّى رَأَى خَيَالَهُ في غديرٍ رائق ؛ فعَشِقَ خياله ، وهَامَ بنَفْسه ، وظَلَّ يُحَمْلِقُ في صورته على صفحة الماء حَتَّى فارقته الحياة ، ونَمَتْ مكَانه زَهْرَةُ النَّرْجِس ، وصَارَ رمزاً للنرجسيَّة وحُبّ الذات الذي لا ينطفئ له ظمأ » [3] ، وهي ترمز إلى « الجُوع الذي لا يَشْبَع ، والعَجْز عن تَحْقِيق الرغبات ، والعذاب الأبديّ » [4] .

يعود الفضل في وَضْع مصطلح (النرجسيَّة) إلى العَلاَّمة الإنجليزيّ المشهور **هافلوك أليس** ؛ فقد وَصَفَ حُبَّ الذات وصفاً دقيقاً ، وأطلق عليه اسم النرجسيَّة إشارةً إلى أسطورة **نرجس** الإغريقيَّة المعروفة . وهناك كثير من أمثلة النرجسيَّة في « هَوَس المَجْنُون ، وفي اهتمام المُصَاب بالهجاس ببدنه ، ومِنْ أمثلتها ما يُشَاهَد في حياة الأطفال ، والعجائز ، أو المصابين بعِلَل بدنيَّة خطيرة ؛ إذ يبدو في هذه النواحي كافَّة الفَرْق بين حُبّ الذات وحُبّ الغير ، والصلة بينهما ؛ فكُلَّمَا زَادَ حُبُّ المَرْءِ لنَفْسه قَلَّ حُبُّه لغيره والعكس بالعكس . على أساس هذه الملاحظة قرر **فرويد** أَن اللبيدو يتجمع كله في الذات . وأنَّ حُبَّ الذات هو مبدأ كل أنواع الحُبّ الأخرى ؛ فإذا انصرف هذا اللبيدو إلى الخارج قُلْنَا عنه إنه حُبّ لموضوع ، أي حُبّ لموضوعات أخرى غير الذات . لكن هذا الحب الخارجيّ يُمْكِن أن يتراجع إلى الذات مَرَّةً أخرى كما يقع في أحوال الإصابة بالمرض ، أو عَقِب الإصابة في حادثة خطيرة ، أو عند تقدُّم العمر ، وما إلى ذلك ؛ حَيثُ يزيد اهتمامُ المَرْءِ بنَفْسه ، وتفرُّغه للتفكير فيها ، والجَزَع عليها » [5] .

وتَعْنِي النرجسيَّة الباثولوجيَّة (Pathological Narcissism) ، التي تقوم على تضخيم الفرد لأناه [6] – من وجهة نظر التحليل النفسيّ – « تَرَكُّز كُلّ نَزْوَة الحُبّ في الذات ، بشكل يَمْنَعَهَا من رُؤْيَة ما عَدَاهَا ، ويَسْجُنُهَا – في حدودها – في حالة من الفِتْنة والإِعْجَاب » [7] .

لقد وصل التحليل النفسيّ إلى فكرة النرجسيَّة والعُصَاب النَّرْجسيّ ؛ حيث يتعلق لبيدو الشخص بذاته هو ، بدلاً منْ أَنْ يتعلق بموضوعٍ ما [8] ، وتوجد درجات من حُبّ الذات أو (النرجسيَّة) شائعة لدى جميع الأجناس البشريَّة ، وتختصُّ بفكرة المرء عن ذاته بوصفه كائنًا اجتماعيًّا [9] .

وقد أشار **سيجموند فرويد** (Sigmund Freud) إلى الارتباط بين النرجسيَّة والظواهر الاجتماعيَّة من خلال المُثُل العُلْيَا للذات [10] ؛ فَإِنَّ « طَاقَةَ الحُبِّ تتركز كُلّها – في البداية – في الذات ؛ فتُضَخِّمهَا بشكل مُفْرِط ، ثُمَّ تتوزع – فيما بعد – بين الذات والموضوعات الخارجيَّة التي استقطبت نَزْوَة الحُبّ (أشخاص ، قضايا ، قِيَم) » [11] .

وغَيرُ خَافٍ أنَّ للنرجسيَّة دلالة زمنيَّة ؛ إنها الشكل الأصليّ من الرغبة التي نرجع إليها دائمًا ونحن نتذكر هذه النصوص ؛ فهي (مُسْتَودَع) اللبيدو ؛ ففيها يتجمع كل لبيدو الموضوع ، وإليها تعود كُلُّ طاقة سَحَب توظيفها ؛ إنها – على هذا النحو – شرط كل تصعيد ، وليس بخافٍ أن الاختيار نفسه للموضوعِ يحمل علامة النرجسيَّة ؛ فَإِنَّ كُلَّ ضُرُوب بحثنا تتكيف على وَفْقِ المَوضُوعَين العَتِيقين : الأمّ وجسمنا الخاصّ ؛ إنه اختيار اعتماديّ أو اختيار نرجسيّ ، والنرجسيَّة خَفِيَّة دائمًا خلفَ وُجُوهٍ لا تُحْصَى[12] .

يَعْنِي **فرويد** بالنرجسيَّة الأوليَّة أَوَّل تَوَحُّد للأنا ، وهي تقع بين الشبقيَّة الذاتيَّة وحُبّ الموضوع ؛ فهي بذلك تلك الحالة المُبَكِّرَة التي يقوم فيها الطفل باستثمار كل اللبيدو في ذاته هو ، بينما تشير النرجسيَّة الثانويَّة إلى ارتداد اللبيدو من الموضوعات التي كان يستثمر فيها إلى الأنا مرة أخرى[13].

وتَحَدَّثَ **فرويد** – أيضًا – عن تقدير الأبوينِ المُغَالِي للطفل ، ورآه ضربًا من إعادة إنتاج نرجسيتهما الخاصَّة المهجورة (جلالته ، الطفل سَيُحَقِّق كُلّ أحلامنا) ؛ فَإِنَّه يكتب قائلاً : (المسألة الأكثر عسرًا في المنظومة النرجسيَّة هي أن هذا الخلود للأنا ، الذي يفتح الواقع ثغرة فيه ، وَجَدَ أَمْنَهُ مُجَدَّدًا في الاحتماء بالطفل) .

وهذه المسألة الشائكة لمنظومة النرجسيَّة إنما هي ما نُسَمِّيه الكوجيتو

الكاذب ، الذي له الشمول نفسه للكوجيتو الأصليّ ، وثمَّة نص شهير **لفرويد** يُبَيِّنُ – تَمَامًا – الرِّهان الفَلْسَفِيّ لمعارضة امتياز الوعي ، وتبدو فيه النرجسيَّة كأنها جلال ميتافيزيقيّ حقيقيّ ، وعبقريَّة خبيثة إليها يجوز أن نعزو أقصى مقاومتنا للحقيقة (نرجسيَّة الناس الأوليَّة ، حبّهم لأنفسهم) .

لقد طرأت على النرجسيَّة ضروبٌ من الإذلال مِنْ جَانب العِلْم ، وكان الإذلال أَوَّل الأمر موقع الأرض الرئيس ، الذي عَدَّهُ الإنسان ضمانًا لدوره السائد في الكون ، وبَدَا لَهُ أَنَّهُ مُتَكَيِّف تَمَامًا في أن يَعُدَّ نفسه سيد العالم ، والإذلال الثاني : تناول زَعْمَهُ أَن يَنْسِبَ لنفسه موقع سائد على الخلائق الأخرى في مملكة الأحياء ، يُفَرِّقُ بين طبيعته وطبيعتهم [14] .

وقد أَوضَحَ **فرويد** أن النرجسيّ لا يرى في الآخرين غير صورة نفسه ؛ فهم مُضَيَّعون فيه ، أو هو يَرَى نَفْسَه فيهم ؛ فهو أيضًا مُضَيَّع [15] ؛ لأنَّ النرجسيَّة تقع بين الشَبقيَّة الذاتيَّة والحُبّ المَوضُوعيّ ؛ فالطفل يجعل مِنْ نَفْسه ومِنْ جسمه موضوعًا للحُبّ ، وهذه هي المرحلة الوَسيطَة بين الشبقيَّة الذاتيَّة والحبّ المَوضوعيّ ، ومن الجائز ألا يمكن الاستغناء عنها في السيرة السويَّة للحياة ، ولكن يبدو أن كثيرًا من الأشخاص يتلكئون طويلاً في هذه الحالة [16] .

تَدُلُّ النرجسيَّة – أول الأمر – على انحراف ؛ فالجسم الخاصّ يُعَامَل مُعَامَلَة الحُبّ ، وتكون النرجسيَّة مُتَمِّمًا لبيديًّا ، واختيار الموضوع نفسه يُعَدُّ مفهومًا مُلازِمًا للنرجسيَّة ، من حيث إن المِثَال الذي يقيس الفرد أناه الحالية به يمكنه أن يكون خاضعًا لنظرية اللبيدو بواسطة النرجسيَّة على وجه الدقة ، ويدخل المِثَال نفسه بفضل هذا التواطؤ بين ما يبدو لنا مُنْتَهَى الأنانية وتمجيد مثال تُمْحَى الأنا أمامه في ميزانية انزياحات الدافع .

حيث يتوجه حُبّ الذات ، الذي كانت الأنا الفعليّة قد تَمَتَّعَتْ به في الطفولة ، إلى الأنا المثاليَّة ، ويبدو أن النرجسيَّة انزاحت صَوبَ هَذه الأنا المثاليَّة الجديدة التي تجد نفسها كالأنا الطفليَّة ، وتمتلك كل الكمالات ، وكما هو الحال كُلّ مرَّة في مجال اللبيدو يبدو الإنسان هنا عاجزًا عن التَّخَلِّي عن الإشباع ، الذي استمتع به مرة ، ولا يريد أن يستغني عن الكمال النرجسيّ لطفولته ، وإذا لم يستطع أن يحتفظ به ؛ لأنَّ تنبيهات الآخرين أوجدت

الإضراب في نفسه خلال نموه ، واستيقظ حُكْمُهُ الخاصّ ؛ فَإِنَّهُ يبحث عن الفوز به مُجدَّدًا على صورة جديدة ، صورة مثال الأنا [17] .

وقد ذكر **ليفين** (Lewin) أنَّ النرجسيَّة « تعبير تجريديّ ذو صلة واضحة بعلم نفس الطفولة والعُصاب والنوم وحياة الحُبّ » [18] ، وفضلاً عن ذلك فَإنَّ لها علاقة وطيدة بالحُلْم ، والاكتئاب ، والزهو ، والأعراض الجُسْمَانيَّة [19] .

وأَعْلَن **مور** أَنَّ التَّحْلِيلَ النفسيّ يهتم بالشخصيات النرجسيَّة ، وأشار إلى أن « كلمة نرجسيّ (Narcissistic) ربما تُشِيرُ إلى الطاقة النفسيَّة ، أو إلى موضوعها ، وإلى مرحلة التطوُّر ، وإلى نوع أو نمط اختيار الموضوع ، وإلى وضع جسمانيّ ، وإلى الأنظمة النفسيَّة والعمليات ، وإلى نمط الشخصيَّة الذي قد يكون سَوِيًّا نسبيًّا أو مَرَضيًّا » [20] .

وَصَفَ **نيميا** الأفراد ذَوِي الشخصيَّة النرجسيَّة المضطربة بأنهم « يُظْهِرُونَ طموحًا عاليًا وأهدافًا عالية غير واقعيَّة ، ولا يتحملون مواقف الفشل ، ولا يتقبلون عيوب ذواتهم ، ولديهم رغبة حادَّة لا تُشْبَع في أن يكونوا موضعًا للإعجاب » [21] .

وأكد **هارتمان** أن النرجسيَّة شحنة وجدانيَّة لا تتعلق بالأنا (ego) ، ولكنها تتعلق بالذات (self) ، وأن تلك الشحنات الوجدانيَّة تتعلق بذات الشخص ، وليس بتمثيلات الموضوع [22] .

إن النرجسيَّة من الصور الإكلينيكيَّة التي يرسمها الطب النفسي للبارانويا(Paranoia) ، وتتمثل في مُبَالَغَةِ المَريض في تقدير ذاته ، والزهو الذي يَسْتَتِرُ أحيانًا خلف تواضُعٍ مصطنع ، وأحيانًا يتراوح بين الإعجاب بالذات وجُنُون العظمة ، وقد يُؤَدِّى حُبّه للذات هذا إلى الاستعراض العقليّ أو الرواقيَّة [23] .

ثانيًا : النَّظَرِيَّاتُ المُفَسِّرَةُ للسُّلُوكِ النَّرْجِسِيِّ :

أ : نَظَرِيَّةُ اللِّبِيدُو وَالنَّرْجِسِيَّة :

أَطلق **فرويد** اللبيدو (Libido) في كتاباته الأولى على الطاقة النفسيَّة المتعلقة بالغرائز الجنسيَّة ، ولَمَّا عَدَّلَ نظريته في الغرائز فيما بعد ، وقال بغريزتينِ جديدتين هما : غريزة الحب إيروس (Eros) ، وغريزة

الموت ثاناتوس (Thanatos) ، تغيّر معنى اللبيدو تبعا لذلك ؛ فأصبح يُطْلَق على الطاقة النفسيَّة أو الغَريزيَّة بوجه عام [24] .

إن نظريَّة اللبيدو في شكلها الخالص تُوَضِّح نفسها في كل مراحل الحياة المختلفة ، ويُسَمَّى اللبيدو أحيانًا باسم الموضوع (object) الذي يتجه إليه ؛ فإذا كان موضوع الحب هو الذات سُمِّي ذلك لبيدو الذات (ego Libido) .

فاللبيدو عند **فرويد** هو الطاقة الغريزيَّة الموجودة في النفس منذ الولادة قبل أن يتميز الذات ، وعند تكوين الذات تتجمع شحنات كبيرة من هذه الطاقة فيه ، وذلك ما يسمى اللبيدو الذاتيّ ، وهي مرحلة نرجسيَّة تتسم بالاهتمام المُفْرِط بالنفس ، ونَقْص الاهتمام بالآخرين ، ثُمَّ تنبعث – فيما بعد – الشحنات اللبيديَّة من الذات إلى الموضوعات [25] ، وتُمَثِّل الاضطرابات العقليَّة تثبيتًا أو نُكُوصًا إلى حالات النُّمُوّ المُبَكِّرَة للنمو النفس – جنسيّ ، وتتميز هذه المراحل بتركيز لبيدو الفرد على ذاته ، وتختلف الحالة الناتجة لحُبّ الذات أو النرجسيَّة بطريقة مباشرة تبعًا لشدَّة المرض النفسيّ [26].

وقد عَرَّفَ **فُرويد** النرجسيَّة – بعد أن أرسى قواعد نظريَّة نرجسيَّة لـــ(النوم ، الفصام ، توهُّم المرض) – بأنها تتمة لبيديَّة للأنانيَّة [27] ؛ فالغريزة الجنسيَّة « لا تتعلَّق فقط بالأهداف الجنسيَّة الخارجيَّة ، وإنما تتعلق أيضًا بالذات ، وتتخذها هدفًا لها » [28] .

ذهب **فرويد إلي** أن انفصال اللبيدو عن موضوعاته حالة بَاثُولوجيَّة ، في حين أن تَحَوُّل لبيدو الموضوع إلى لبيدو الذات عملية نفسيَّة ، وانسحاب لبيدو الموضوع إلى الأنا لا يُولِّد المرض مباشرة ، ولكن حين يُرْغَم اللبيدو على الانفصال عن موضوعاته إثر موقف انفعالي على جانب كبير من القوة والتأثير ، عندئذ لا يَتَسَنَّى للبيدو ، وقد أصبحت نرجسيَّة ، أن تعود إلى موضوعاتها [29] .

وهناك فكرة ذات أهمية جوهريَّة لنظرية اللبيدو ، وهي حالة يملأ فيها لبيدو المرء ذاته هو ، ويتخذها موضوعًا له ، ويمكن تسميتها النرجسيَّة أو حُبّ الذات ، وهذه الحالة لا تتلاشى أبدًا تلاشيًا تامًّا ؛ إذ تَبْقَى ذَاتُ المَرْءِ طوال حياته مستودع اللبيدو الأكبر ، منه يَصْدُرُ التَّعَلُّق بالموضوعات ، وإليه

يُمْكِن أن ترتدّ اللبيدو عن الموضوعات ؛ فاللبيدو النرجسيّ دائم التحوُّل إلى لبيدو موضوعيّ وبالعكس [30] .

جاء مصطلح النرجسيَّة من الوصف السريريّ ؛ فقد اختاره **ب . ناكه** (Nacke) في عام 1899م ؛ « ليشير به إلى سلُوك الفرد حين يُعَامِلُ جِسْمَهُ بطريقة مُشَابِهَة لتلك التي يُعَامِلُ بها في العادة جِسْم موضوع جنسيّ ؛ فهو يتأمَّلُهُ مُجْتنياً منْ ذَلكَ لَذَّة جنسيَّة ، ويُلامسُهُ ، ويُدَاعِبُهُ ، إلى أنْ يفُوز منْ هذه المُمَارَسَات بالإشْبَاع الكامل ، والنرجسيَّة ، إذا ما بَلَغَتْ هذا الحدّ ، يَصيرُ لَهَا دلالة الانحراف ، الذي يستغرق كُلِّيَة الحياة الجنسيَّة للشخص المَعْنِيّ ... وتَبَيَّن للملاحظة التحليليَّة النفسيَّة – فيما بعد – أن سمَات مُحَدَّدة من السلُوك النَّرجسيّ تتكرر لدى كثرة من الأشخاص ممَّن يُعَانُونَ اضطرابات أخرى ، وعلى سبيل المثال لَدَى الجِنْسِيِّينَ المِثْلِيِّين ... ثُمَّ كَانَ الانتهاء إلى الافتراض بأن توظيفاً مُعَيَّناً للبيدو ؛ ممَّا يَنْبَغِي إطلاق اسم النرجسيَّة عليه ، يُمْكِن أن يكون له دور في حقل أوسع بكثير ، وأن يُطَالَب بمكانه في النمو الجنسيّ النظاميّ للكائن البشريّ ... والنرجسيَّة بهذا المعنى ، لن تكون انحرافاً ، وإنما تكملة لبيدويَّة لأنانيَّة غريزة الحفاظ على الذات ... كما أن النرجسيَّة التي تظهر عن طريق استرجاع التوظيفات الموضوعاتيَّة لن نَجِدَ أمامنا مناصاً من أن نتصورها على أنها حالة ثانويَّة جرى بناؤها على أساس نرجسيَّة أَوَّلِيَّة » [31] .

ب : نَظَرِيَّةُ العلاقَات الشَّخْصِيَّة المُتَبَادلَة :

تُشْبِهُ هذه النظرية – من حيث معناها ومضمونها الداخليّ – الفرويديَّة الجديدة ذات الاتجاه السوسيولوجيّ ؛ فَإِنَّ « **فرويد** عندما نَشَرَ نظريَّة الجنسيَّة في مقالاته الثلاث عام 1905 وَضَعَ عدداً من الاقتراحات الجديدة ، كان أكثرها جِدَّة وحَدَاثة تقسيم الغريزة الجنسيَّة إلى موضوع وهدف ، وأنَّ تطوُّر كُلّ منهما يمكن تَتَبُّعُه ، وقد حَدَّدَ **فرويد** في عمله الأصليّ الموضوع الجنسيّ (Sexual object) بالشخص الذي يَصْدُرُ عنه الجذب الجنسيّ ، أما الفعل الذي تستهدفه الغريزة فهو الهدف الجنسيّ (Sexual aim) ، وأخيراً اختصر مصطلح الموضوع الجنسيّ إلى الموضوع (Object) ، ومنذ ذلك الحين وليس للكلمة معنى سوى العلاقات

بين الأشخاص ، وقد لاحظَ **فرويد** – مقتبساً من عالِم نفس أمريكي هو **بل** (Bell) 1902 – أن وجود الحُبّ في الطفولة لا يعتمد على الحاجة إلى الاكتشاف ، وقد اعتقد **فرويد** في ذلك الوقت أنه ليس هُنَاك في المراحل الأولى للغريزة الجنسيَّة في أثناء الطفولة حاجة إلى موضوع ، وبصورة سريعة تظهر مكونات الغرائز التي تشمل منذ البداية أُنَاساً آخرين على أنهم موضوعات ، ويكون الموضوع الجنسيّ واضحاً وموجوداً خلال مرحلة البُلُوغ .

فقد كان انتباه **فرويد** – كما هو مُلاحظ في كتاباته عن سيكولوجيَّة الهِيَ (1900 : 1914) – مُرَكَّزاً بصورة مبدئيَّة على مظاهر الجنسيَّة ، أما اختيار الموضوع فلم يُعِرْهُ اهتماماً كافياً ، وقد تَمَثَّلَ أول اهتمام علميّ يُوَجِّهُهُ **فرويد** لموضوع العلاقات بين الأشخاص في مقاله عن النرجسيَّة 1914 .

وإذا نظرنا نظرة متأملة لنظريَّة التحليل النفسيّ منذ عام 1955 ؛ فإننا نَرَى نقلة مؤكدة للمسائل المُتَعَلِّقَة بنظرية العلاقات بين الأشخاص ، وانحطاطاً ظاهراً في المسائل المُتَعَلِّقَة بالغرائز . وليس هذا بالأمر المثير للدهشة ؛ لأنَّ العلاقات بين الأشخاص تُمَثِّل جزءاً من جدول **فرويد** الخاص بتطوُّرات نظريَّة الجنسيَّة » [32] .

وقد وُجِدَتْ كِلْتَا النظريتينِ معارضة من البَاحِثينَ [33] .

***

تُمَثِّل الشخصيَّة النرجسيَّة مستوى منخفضاً من السمات العصابيَّة ؛ لذا افترض العالم السويسريّ **كارل يونج** (C.Junj) أنَّ النرجسيَّة تتميز بكونها ذُهَانيَّة أكثر منها عُصَابيَّة [34] .

أما **كيرنبرج** (Kerberg) فقد افترض أنَّ الحنق اللفظيّ هو العَرَض السَّائد لدى أصحاب الشخصيَّة النرجسيَّة ، ووصفهم بأنهم لديهم استعداد لأنْ يستغلوا الآخرينَ ، وأنهم – في الغالب – مُتَطَفِّلُونَ [35] .

يسعى النرجسيونَ سعياً دَءُوباً لتعظيم أنفسهم ، وليكونوا موضع الاهتمام ، ومن هنا ترى الذات نفسها « فَعَّالة وقويَّة وجَذَّابة وذَكيَّة على غير العادة ، وأَنَّ العَالَم كُلّه يعمل على الاستجابة لرغباتها وتحقيق مَلَذَّاتِهَا » [36] .

يَعْتَرِفُ النرجسيُّ بأنه يحاول استغلال الآخرين ، وأَنَّ لديه القدرة على السيطرة على أيّ حديث يشترك فيه ، وفضلاً عن ذلك فهو يَحْسُدُ الآخرين على ما يتمتعون به من حَظٍّ سعيد ، ويرى أَنَّ التفوقَ شيءٌ يُولَد مع الإنسان ، ويميل إلى استعراض جسمه ، والنظر كثيراً في المرآة ، ويُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَاتِ الثَّنَاء كثيراً من الآخرينَ [37] .

وهُنَاكَ رابطة بين النرجسيَّة ، وحاجة المرء إلى الحُبّ [38] ، وحاجته إلى الأمن التي لم تُشْبَع إشباعاً معقولاً لديه [39] ؛ فهو يشعر بانعدام الأمن ، ويشعر بالاغتراب عن المجتمع الذي يعيش فيه ، وتظهر مظاهر العظمة – جنباً إلى جنب – مع مشاعر النقص ، فضلاً عن الاعتماد المُفْرِط على الإعجاب الخارجيّ ، وهُتَاف الاستحسان من الآخرينَ [40] .

والخاصيَّة الجوهريَّة لنموذج الشخصيَّة النرجسيَّة هي الإحساس المُبَالَغ فيه بأهمية الذات أو التفرُّد ، والرغبة القويَّة في توكيد الذات وإعلاء الشأن والتعزيز النرجسيّ ، وأَنَّ لديها نقصاً في التعاطُف مع الآخر ؛ فهي تُظْهِرُ رَدَّ فعل ضعيف إزاء تصرفاتها التي تستدعي الشعور بالذنب [41] ، « ومن الخصَال المُحَدِّدة الأخرى : المُبَالغة في الإنجازات والمواهب ، والانشغالَ بخيالات النجاح أو القُوَّة أو التألُّق أو الجَمَال ، وكلها لآفاق غير محدودة ، مع الحاجة المستمرة لِتَلَقِّي الاهتمام والإعجاب ... ومشكلات في التفهُّم لموقف الآخر ، وفي استجابة لهزيمة أو لنقد ، يُعَانُونَ من الشعور بالغضب الشديد ، والخِزْي ، والمَذَلَّة ، وبعبارات نموذج العوامل الخمسة ، يُسَجِّلُ مِثْل هَؤُلاء الأَفراد درجات مُتَطَرِّفَة الانخفاض على السَّمَاحَة ، ودرجات مرتفعة على كُلٍّ من الانبساط والانفتاح على الخبرة , وتعود درجاتهم المنخفضة على القبول بشكل أَوَّلِيّ إلى درجاتهم المنخفضة على كُلٍّ من : جوانب التواضع (بما يَدُلُّ على التكبُّر والغرور) ، والإيثار (بما يَدُلُّ على التمركُز حول الذات ، والأنانيَّة ، والاستغلال) ، والتعاطُف المُحِبّ (بما يَدُلُّ على انخفاض التفهُّم لموقف الآخر) »[42] .

ويرجع القُصُور في فَهْم موقف الآخر « للانشغال الشديد بالذات ، ولصُعُوبَة التَّعَرُّف إلى الآخرينَ ، بوصفهم أفراداً منفصلين ، لهم حاجاتهم

الخاصّة بهم »[43] .

لقد قدم **ريتش** (Reich) وصفًا متكاملاً لنمط الشخصيَّة النرجسيَّة الطَّمُوح ، وأسماها الشخصيَّة النرجسيَّة القضيبيَّة ؛ فإنَّ هؤلاء الأفراد – من وجهة نظره – « واثقون من ذواتهم ، طَمُوحون ، نَشطُون ، انْدفَاعيُون ، دَائمُو العُدْوَانية ، مُتَغَطْرِسُونَ ، يُظْهِرُونَ – بِصِفَة عَامَّةَ – سمات السيطرة ، الالتفات والاهتمام بالجمال الجسميّ ، والصلات والارتباطات الأنانيَّة مع الآخرين ، ومثْل هؤلاء مَشْغُولُونَ بالمحافظة على صورة الذات مُقْنَعَة (Potent) للآخرين ... فَإِنَّهُم يُغَالُونَ في الثقة بالذات ، والسيطرة على الآخرين ، والاستعراض »[44] ، ويرى النرجسيُّونَ أَنَّ كل شيء واجب الأداء لهم ، وفي الحال [45] .

إن منْ أَبْرز سمَات شخصيته : التركيز على الذات ؛ فهو يرى نفسه شخصًا متفردًا ، ليس له نظير ؛ لذا يُكْثرُ منَ الحديث عن نفسه ؛ محاولاً جذب انتباه الآخرين ، وطلب الإعجاب والحُبّ منهم ؛ فهو يريد أن يَكُونَ محْوَر الاهتمام دائمًا ، في أيّ مكان يوجد فيه ، ويرى أنه يَفُوق الآخرين في كُلِّ شيء ، ويتوقع منهم عطاءً مُبَالغًا فيه ، هذا فضلاً عن أنه يسيطر عليه شعورٌ بأنه لم ينل ما يستحقه من تقدير يُوَازِي مواهبه ، ونرجسيّته مصحوبة – في الأغلب – بالأنانيَّة وجُنُون العظمة ؛ لذلك ذَهَبَ إلى تعظيم نفسه ، والإعجاب بأفعاله وأخلاقه كلّ مَذْهَب .

وأصحاب الشخصيَّة النرجسيَّة يتظاهرون بصفات مغايرة لصفاتهم الحقيقيَّة تمامًا ، وفيما يَلِي المظاهر الإكلينيكيَّة لاضطراب الشخصيَّة كما رآها **سالمان** و**أندرسون** [46] :

ثالثًا : مفهوم الذات *(Self Concept)* :

الظَّاهر : تَضَخُّم الذات ، العظمة والتَّكَبُّر ، أخيلة الثَّرْوَة والقُوَّة والذَّكَاء ، الإحساس بالاستحقاق .

وتَنْطَبِقُ هذه الصفات – إلى حَدٍّ كبير – على المُتَنَبِّي ؛ من حيث مكابرته بذاته ، والشعور بالزهو ، والكبرياء ، وجُنُون العظمة ، وشعوره بمواهبه وقدراته التي لا مثيل لها ، والإعجاب الزائد بالنفس ؛ فهو مركز

الكون ، ويستحق أكثر مما هو فيه من مجد ومال وثروة ؛ لذا يترفع عن مدح الوزراء ، ولا يمدح إلا الملوك .

المستتر : مشاعر الدونية ، والسعي المتواصل وراء القوة والمجد ؛ فهو يشعر بالدونيَّة والنقص ؛ لفقره ووضاعة نسبه ؛ فيسعى وراء المجد والقوة وجمع المال تعويضاً عن نقصه .

رابعًا : العلاقات بين الأشخاص (Interpersonal Relations) :

الظاهر : الاستغراق في قدر عظيم من الازدراء والتقليل من شأن الآخرين .

ويظهر ذلك في زهوه الدائم بنفسه ، وسعيه للتقليل من شأن الآخرين ، وتحقير خُصومه .

المستتر : المثَاليَّة المُزْمنَة ، والحَسَد الشَّديد لِلآخَرِينَ ، والرَّغْبَة الشَّدِيدَة فِي سَمَاع هُتَاف الاسْتِحْسَان .

وذلك يظهر جليا واضحا في شعر المُتَنَبِّي في سعيه للمثاليَّة ، ومقارنة نفسه بغيره من الملوك ، أو مقارنة نفسه بِمَنْ هُمْ أَعْلَى منه منزلةً ؛ فيَشْعُر بِالحَسَدِ الشَّدِيد لِلآخَرِينَ ، وتستحوذ عليه الرغبة في سماع آيات الثناء مِن الجميع .

خامساً : التَّكيُّف الاجتماعيّ (Social Adaptation) :

الظاهر : نجاح اجتماعيّ ، والتسامي في خدمة الاستعراض ، والطُّمُوح الشديد ؛ فالمتنبي يتميز بعُلُوّ الهِمَّة ، ومضاء العزم ؛ لذا يُحَقِّق النَّجاح مهمَا كَلَّفَهُ ذلك من جُهْدٍ ومشقة ، ويتصف بالطُّمُوح المُتَطَرِّف ؛ فَإِنَّ نَفْسَهُ تَصْبُو إلى العلياء .

المستتر : المَلَل المُزْمِن ، وعَدَم الإِحْسَاس بِالطُّمَأْنِينَة ، وعَدَم الرِّضا عَنِ المَكَانة الاجتماعيَّة .

فالمتنبي دائم الشعور بالمَلَل ، لا يُطِيقُ السُّكُون والخُمُول ، يسيطر عليه الشعور بالقلق ، ولا يَرْضَى عن مكانته الاجتماعيَّة .

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : أَسْبَابُ نَرْجِسِيَّةِ المُتَنَبِّي :

دَفَعَتْ النرجسيَّة المُتَنَبِّي إِلى مُفَاخَرَة الآخرين والتَّعَالي عليهم ؛ فقد حَرَّكَتْهُ نَفْسٌ طَمُوح لَيسَ لَهَا نِهَاية تَقِفُ عِنْدَها ، ورُوحٌ ثَائِرَة لا تهدأ ولا تَرْضَى ، وقد نَبَتَتْ بُذُور نرجسيَّته في دور الطفولة ، وتَسَرَّبَ هَذَا الشُّعُورُ الزائد بحُبِّ الذات في نَفْسه مُنْذُ صِبَاه ، وازداد تَعَمُّقًا ونُمُوًّا ورُسُوخًا في شبابه ، ولازمه في بقية أدوَار عمره ؛ فَإِنَّ لهذه النزعة الجامحة ما يُسَوِّغُهَا مِنْ أحوال عصره ، وطفولته الجادّة ، ووضاعة نسبه ، وفقره ، وتَجَاهُل الآخرين له ، وشُعُوره بالاضطهاد .

يرى المُتَنَبِّي نفسَهُ أعظم شاعر ؛ وذلك لأنَّه يَرَى نفسَهُ بمنظار آخر أدقّ من منظارنا , وهو مُحِقٌّ في ذلك ؛ « ففي كُلِّ شاعرٍ نصيبٌ من الغرور » [47] ، وتجويد الكلام نفسه يُغْرِي الشعراء بإظهار هذا الاعتزاز الزائد بالنفس ؛ « لا لأَنَّهُ مِنْ حَقَائِق نفوسهم دائمًا ؛ بل لأنَّ الكلام يُوَاتِيهم فلا يقدرون على دفعه » [48] .

لكني لا أقول إنَّ النرجسيَّة مقصورة على الفرد المُبْدِع أو العبقريّ وحسب , بل إنها علَّة نفسيَّة تَدْخُل في تكوين الفرد أيًّا كان ؛ فكُلُّ فردٍ – مهما كانت مهنته أو طبيعته أو ديانته أو أخلاقه أو بيئته – بداخله نرجسيَّة لا محالة ، لكن بمقدار يختلف عن غيره ؛ حيث توجد درجات من حُبّ الذات أو (النرجسيَّة) لدى جميع الأجناس البشريَّة [49] .

إِنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنَّا – فِي الوَاقِع – لديه مكونات نرجسيَّة في شخصيته ، وهذا ما يُسَمَّى بالنرجسيَّة الصحيَّة (Healthy Narcissism) [50] .

إِنَّ الشَّاعِرَ الصَّادِقَ ، صاحب الإحساس المُرْهَف ، والشعور الرقيق ، لا بُدَّ أن يشعر بالتميُّز ولا شك ، ويَتَمَادَى في نرجسيَّته كُلَّمَا زَادَ إبداعه وابتكاره ، وهذا ما قال به **ريس** و**جودمان** و**ماكينون** في العصر الحديث ؛ فقد قام « **ريس** و**جودمان** – عن طريق استخدام استقصاء تقرير الذات لقياس الابتكار – بتقسيم مجموعة من الدارسين إلى مجموعة ابتكاريَّة عالية , ومجموعة منخفضة , وقد أعطى المجموعتين اختبار الشخصيَّة المتعددة

الأوجه (MMPI) ، واستقصاء المزاج **لجيلفورد** , و**زيمرمان** , وأَظْهَرَت الدراسة أن الشخص المبتكر أكثر نرجسيَّة , وأكثر استعراضاً من غير المبتكر , وفي دراسة **ماكينون** على المُهَنْدِسينَ المعْمَاريينَ وُجِدَ أَنَّ المهندس الأكثر ابتكاراً أكثر انطواءً ... وأكثر استقلالاً من قرينه الأقلّ ابتكاراً ... فالأفراد الذين سَجَّلُوا درجات عالية في بُعْد الذهانيَّة كانوا منعزلينَ ، ولا يهتمونَ بالناس ، ولديهم نقصٌ في المشاعر والتعاطُف , كما أنهم عدوانيونَ » (51) .

لذلك نستطيع أن نَعْرِفَ سبب نرجسيَّة الشُّعَرَاء العظَام ، على خلاف الصِّغَار منهم ؛ فالشاعر الكبير يَشْعُرُ بالتميُّز ، ويُرِيدُ أَنْ ينالَ التقدير الذي يُناسِبُ مواهبه ، بينما الشاعر ضعيف المستوى لا يصيحُ مثْلَ هذه الصيحات النرجسيَّة ؛ لأَنَّهُ لا يَمْلِكُ أن يُنَافِسَ أحداً ؛ فهو في مَحَلِّ العاجز عن الدفاع عن نفسه إذا قُوبِلَ بالاعتراض .

ويمكننا – أيضاً – أن نَعْرِفَ النَّرْجِسِيينَ عَنْ طريق سلوكهم وقِيَمِهِمْ ، وبذلك يكونون على وعيٍ بنرجسيتهم (52) .

فقد ظهرت نرجسية المتنبي من خلال سلوكه في مفاخرة الآخرين والتعالي عليهم ، وقد كان على دراية بنرجسيته ؛ فرأى نفسه أعظم شاعر ، وشَعَرَ بالتميُّز في إبداعه وابتكاره .

والمُتَنَبِّي هو العبقريَّة التي أدهشت عصره وسائر العصور ؛ حتى إِنَّ مُعَارِضِيه لا يملكون أمام شعره إلا الإعجاب والتأثُّر به ، لقد حَكَى صاحب المفاوضة فقال : « كان سيف الدولة يميل إلى أبي العبَّاس النامي الشاعر ميلاً شديداً إلى أنْ جاءه المُتَنَبِّي ؛ فمَالَ عنه إليه ؛ فغَاظَ ذلك أبا العَبَّاس ؛ فَلَمَّا كان ذات يوم خَلا بسيف الدولة وعاتبه وقال : أَيُّهَا الأميرُ ، لِمَ تُفَضِّل عليَّ ابن عِيدان السقا ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه ؛ فلجَّ وأَلَحَّ ، وطالبه بالجواب ؛ فقال : لأنك لا تُحْسِنُ أن تقولَ كقوله :

يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيرَ مُفْتَخِرٍ
وَقَدْ أَغَذَّ إِلَيهِ غَيرَ مُحْتَفِلِ » (53)

وأظنُّ أَنَّ هذا يُثْبِتُ أَنَّ صاحب المهارة والابتكار هو الأكثر نرجسيَّة

من غيره ، إن نرجسيّة المتنبي أصلّتها بيئته ، إلى جانب تركيبه النفسيّ الخاصّ ، الذي يتسم بالتعالي ، والشُّمُوخ ، والكِبْرِيَاء ، والغَطْرَسَة ، والشعور – المُبَالغ فيه – بالتفوّق .

يرى **ألفرد أدلر** (Alfred Adler) أنَّ كَثِيراً مِنَ المَوَاهِبِ وَالقُدْرَات – التي تَخْلُقُ الشخصيَّة النرجسيَّة – سببها الشعور بالدونيَّة والنقص(54) .

خلاصة الأمر أن شعور المتنبي بالدونيَّة والنقص بسبب فقره ووضاعة نسبه أَمَدَّهُ بطَاقَة نفسيَّة كَبِيرة زَوَّدَتْهُ بكثيرٍ من المواهب والقدرات ؛ ممَّا جَعَلَهُ قادراً على الابتكار.

ولا غرابة بعد ذلك إذا قلنا إن الطفل يجد نفسه مدفوعاً إلى النمو والتطور عَلَى وَفْقِ أنماط مُحَدَّدَة ببيئته المحيطة (55) .

لقد نَمَا الطفل وترعرع تبعًا لنمط البيئة المحيطة به ، التي خضع لها ، وتأثَّر بها ، وتعايش معها مؤثرا ومتأثرا .

ومَهْمَا كانت طبيعة الأخطاء التي يتَعَرَّض لها الطفل خلال نموه وتطوره ؛ فَإِنَّ أخطر النتائج تجيء من رغبة الطفل في السيطرة على الآخرين ، والبحث عن القُوَّة التي تُعْطِيه التميُّز اللازم لتحقيق التفوُّق عليهم (56) .

فالشاعرُ يمتلك – في البَدْء – إحساساً فائقًا يتميز به من الآخرين ، لَكِنَّ هذا التميُّز قد يُشَارِكُهُ فيه كثير ؛ فالنفوس الرقيقة ليست مقصورة على الشعراء فقط ، لكنهم أقدر الناس على التعبير عَمَّا يجيشُ في صدورهم من انفعال ، وهذا هو الفيصل ؛ فالشاعر يمتلك القدرة على التعبير ؛ وعليه فهو يمتلك شيئًا لا يملكه الآخرونَ ، وهو يعرف ذلك جيِّداً ، وحينما يتباهى بذلك ؛ فتلك هي أول خُطْوة على طريق النرجسيَّة .

لقد تركزت لغة المتنبي ، وبراعته في التعبير حول ذاته ؛ فدلَّتْ ألفاظه ، وتراكيبه ، وأساليبه ، وصوره – بجلاء – على نرجسيته .

إن نرجسيَّة الفنان المُبْدِع ليست ضارَّة على الإطلاق ؛ إنها نوعٌ من التنفيس ، الذي لا مفرَّ منه ؛ كي يستطيعَ المَرْءُ أن يتوافق مع نفسه من جهة ، ومع البيئة المحيطة به والمُحْبِطَة له من ناحية أخرى .

لقد دفعت وضاعة نسبه وفقره والمؤثرات الخارجيَّة المريرة التي أحاطت به ، والحياة القاسية التي عاشها وهو يشعر بالنقص ، دفعته إلى جُنُون العظمة ؛ فجمع بين أخاييل العظمة والنقص ؛ فظهرت نرجسيته التي ترجعِ لشعوره بالنقص .

أ) عصرُ المُتَنَبِّي :

نَشَأَ المُتَنَبِّي نشأته الأولى بالكُوفَة ، وكان يَتَرَدَّد إلى البادية والحَضَر ؛ فاكتسب من الأولى صلابتها وخشونتها وعُنْفَها ونزعتها البدويَّة ، ومن الأُخْرَى عُلُومها وثقافتها .

وما كاد يبلغ التاسعة من عمره ؛ حتى غَزَا القرامطة الكُوفَة ، وسَفَكُوا الدِّمَاء ؛ فَفَرَّ الناسُ جزعًا وفزعًا ، وهَرَبَ به أبوه إلى بادية السَّمَاوَة ، وعندما أكثر القَرَامطَة منْ غَارَاتِهمْ على الكُوفَة ، غادرها إلى بغداد دُونَ رضَا جَدَّته بعد آخر ثورة ، أي في سنة 320هـ ، ولم تَطُلْ إقامته في بغداد . وفي سنة 350 هـ اتجه إلى الكُوفَة مسقط رأسه ، واشترك مع أهلها في الدفاع عنها حين هاجمها القَرَامطَة .

وليس غريباً أن تقول : إن الطفل يجد نفسه مدفوعاً إلى النمو والتطور طبقاً لنمط الحضارة السائد في عصره [57] .

لقد عاصر المتنبي اضطرابا سياسيّا ، وصراعا قوميّا ، ودسائس وفتَنا ؛ فتَكَوَّنَتْ شخصيته مُتَأَثِّرَة بنَمَط حضَارته وعَصْره ؛ الذي كَثُرَ فيه المُغَامِرُونَ وأصحاب « المطامع والشهوات ، والقلاقل والدَّعَاوَى ؛ فلذلك لم يترك وديعة نفس ولا دخيلة طَبْع إلا حَفَّزَهَا واستَفَزَّهَا ، ورَجَّ وعَاءَهَا ، كما تُرَجُّ القارورة لاختبار ما فيها ؛ فأبرزها للعين بصَفْوِهَا وكَدَرِهَا » [58] .

فقد وُلِدَ في « بيئة كان الدَّمُ يَصْبُغُهَا من حين إلى حين ، كَانَ الدَّمُ يَصْبِغُهَا ثُمَّ لا يكاد يَجِفُ حتَّى يُسفَك دَمٌ آخر ، ولم يكن الدم وَحْدَهُ يصبغها ، وإنما كان يصبغها صِبْغٌ آخر ليس أقل نُكْرًا من سَفْك الدم ، هو النَّهْب والسَّلْب ، واستباحة الأَعْرَاض ، وانتهاك الحُرُمَات ، والاستخفاف بقَوَانين الخُلُق والدِّين » [59] .

لقد أَكَّدَ طه حُسَين (ت1973م) تأثير البيئة في تكوين شخصيَّة

الشاعر ؛ حين تحدثَ عن الحياة العراقيَّة في آخر القرن الثالث وأول الرابع ، ورَصَدَ ما آلت إليه الأمور مِنْ فَسَادٍ سياسيّ واقتصاديّ ، وما وَصَلت إليه من رُقِيّ عَقْلِيّ (60) .

فقد اتسمت الحياة السياسيَّة بالثورات (61) ، التي تهدف بالأساس إلى تحسين الوضع الاقتصاديّ ، وتقوية الشخصية الفرديَّة ، عن طريق تحريرها من القيود التي فَرَضَها عليها النظام الدينيّ والسياسيّ والاجتماعيّ (62) .

إنَّ الحياة الاجتماعيَّة التي نشأ فيها الصَّبِيُّ طَبَعَتْ نَفْسَهُ بطابع التناقُضِ ؛ لأنها كانت غاية في الاضطراب والتناقض .

ب) طُفُولَةُ المُتَنَبِّي الجادَّة :

تنشط النرجسيَّة المَرَضِيَّة – في رأي **كوت** – من التطوُّر الناجم عن عيوب معاملة الوالدين القاسية ، بوصفها طريقةً مِنْ طُرُق الدِّفَاع التعويضيَّة (63) .

وقَدْ وُلِدَ المُتَنَبِّي بالكُوفة في محلة تُسَمَّى كِنْدَة ، فَنُسِبَ إليها ، وليس هو من كِنْدَة التي هي قبيلة ، بل هو جُعْفِي القبيلة (64) ؛ فهو عَرِيقُ العُرُوبة ، ثم انتقل به والده إلى الشام ؛ فنشأ بها .

وقد أكثر المُتَنَبِّي من الاختلاف إلى الوَرَّاقينَ ، وصَحِبَ الأعراب في البادية , ثُمَّ عَادَ إلى الكُوفة بعد سنينَ بَدَوِيًا قُحًّا (65) .

لَعَلَّ الذي أزكي النَّخْوَة والأصالة العربيَّة عند المُتَنَبِّي نشأته بالبادية ؛ التي لازمها في صباه ؛ لِيَسْلَمَ لِسَانُهُ من لُكْنَة العَجَم التي عمَّت قُرَى العِرَاق وحواضِره في ذلك الزمان . وليس غريباً أن يخرج المُتَنَبِّي – الذي يبغي القُوَّة في كل شيء ؛ حَتَّى في اللغة – إلى البادية ؛ لأَنَّهُ يعلم أَنَّ لغتها ما زالت وثيقة بالأصول ، وأهلها يتحدثون بالسليقة ؛ فمرادُهُ إتقان اللغة ، وكأنه يدرك أو لِنَقُلْ يتنبأ أن هذه اللغة ستكون سَلاحَهُ في مُوَاجَهَةِ خُصُومِهِ ، وما أكثرهم .

لقد لَمَحَ أَبُوه فيه علامات النُّبُوغ ؛ لذا سافر به إلى بلاد الشام ؛ « فلم يزل يُنَقِّلُهُ من باديتها إلى حَضَرِها ، ومِنْ مَدَرِها إلى وَبَرِها ، ويسلمه في المكاتب ، ويُرَدِّدُهُ في القبائل » (66) ؛ حتى تُوُفِّيَ .

ولَعَلَّ مصاحبته للأعراب في البادية تُفَسِّر تلك الخُشُونة التي لازَمَتْهُ طَوَال حياته ، وقد لَفَتَ نَظَرَ النَّاسِ إليه – في هذه المرحلة المُبَكِّرة – بِذَكَائِهِ وحِفْظِهِ .

وقد نَشَأ نشأةً بها من الجدّ ما يَفُوقُ أقرانه ؛ فَقَدْ تَوَلَّتْ جَدّته لأُمِّه أَمْرَ تَرْبِيَتِه ، وكانت مَعْرُوفة بأنها من صُلَحَاء النساء الكوفيات دَأبها فعْل الخَير (67) ، وقد وَصَفَهَا المُتَنَبِّي بأنها تَمْلكُ رَأْساً وصَدْراً قد مُلئَا حَزْماً (68) ، وقد كان أَثَرُها بيِّناً في أول شعره , وقد ذَكَرَ المُتَنَبِّي خُلُقه في أبيات له منها :

وتَرَى الفُتُوَّةَ وَالمُرُوَّةَ وَالأُبُـ ـوَّةَ فِي كُلِّ مَلِيحَـةٍ ضَـرَّاتِهَا
هُنَّ الثَلاثُ المَانِعَـاتِي لَذَّتِـي فِي خَلْوَتِي لا الخَوفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا (69)

لقد تَرَبَّى على المعاملة القاسية الصارمة مِنْ جَدَّته ، وهي بمنزلة الأم والأب لديه ؛ فتَكَوَّنَتْ شخصيته النرجسيَّة ، التي ظهرتْ في جُنُون العظمة لديه ، وكبريائه ، والأنا المتعالية ، والطُّمُوح المُتَطَرِّف ، بوصفها وسائل دفاع تعويضيَّة عن معاملة جَدَّته القاسية .

وغيرُ خافٍ أَنَّ نمط شخصيَّة الفرد يرتبط بالبيئة المحيطة به ؛ فالفرد الذي يجد صعوباتٍ في إشباع غرائزه ، وفي الوقت نفسه يرى آخرين يستطيعون إشباع حاجاتهم إشباعاً كاملاً ، يتولد لديه شُعُورٌ بالدُّونيَّة ، وتظهر بعض السمات النفسيَّة لتعويض ذلك الشعور بالنقص ؛ كالقسوة ، والعُنْف ، والتَّكَبُّر ، والزَّهْو ، والفَخْر ، والعَجْرَفَة ، وهي مظاهر للنرجسيَّة .

لقد عاش يتيماً وقامت جَدَّتُهُ – التي أرادت أن تجعل منه رجلاً كبيراً ، وهو ما زال في طَورِ الطُّفُولة – بتربيته على القسوة والعُنْف ؛ فاكتسب هذه الصفات من صغره ، ودفعته قسوته إلى التفكير في نفسه أكثر من التفكير في الآخرين ؛ فظهرت نرجسيته ، التي تَمَثَّلَتْ في حُبِّه الشديد لنفسه ، منذ الطفولة ، ونشأ بعيداً عن مَظَاهِرِ الحُبّ والحَنَان والرِّقَّة ؛ فأَثَّرَ ذلك في شخصيته ؛ فهو غير قادر على الشُّعُور بالحُبّ ، وظَهَرَ ذلك في عدم ميله إلى النساء .

إنَّ العُنْف والاسْتِبْدَاد والإِهَانَة التي وُجِّهَتْ له مِنْ جَدَّته ، وعجزه عن إنجاز المهَام الصعبة التي أسندتها إليه ، وتَحَمُّل الأحكام القاسيَة التي فرضتها

عليه ، كُلّ ذلك خَلَقَ فَجْوَةً كبيرة بينه وبين بيئته ؛ فازدادت غربته النفسيَّة وعداوته للآخرين ؛ ممَّا جعله يلجأ إلى التعويض عن الشعور بالدونيَّة والعجز والضعف ، الذي يشعر به ، عن طريق النرجسيَّة ، التي ظهرت في شعره .

ويَرْجِعُ أصل النرجسيَّة – كما تَنُصُّ نظرية التحليل النفسيّ – إلى خِبْرَات الطُّفُولَة على وجه الخصوص ؛ فَإِنَّ الطِّفْلَ يحتاجُ إلى أن يكون محبوباً من مُرَبِّيه ؛ لينمو نُمُوًّا مُتَنَاغِمًا (70) .

يرى **فرويد** أن الطفل يقع بين شقَّي رَحَى ، إمَّا إشباع مُعْتَدِل بِقَدْر ، وإمَّا حِرْمَان ، وإما تفريط ؛ ممَّا يدفعه للمرحلة التالية مُزَوَّدًا بنرجسيَّة عالية ، أو مُتَخَفِّفًا مِنْ وطأتها ، ولا شَكَّ في أن استبدال النرجسيَّة ليس من السهل أن ينشأ إلا بسبب عامل واحد هو الارتباط اللبيدي بالآخرين ؛ فكأن حُبّ الذات لا يَقِفُ في سبيله غيرُ عائقٍ واحد هو حُبّ الآخرين أو حُبّ الموضوعات (71) .

فالصراع الذي يدخله الطفل مع بيئته بسبب الإحباط الذي يعانيه مِنْ مُحَاوَلَتِهَا مَنْعَه مِنْ مُمَارَسَة الإِشْبَاع الخَاصّ بالمرحلة التي يَمُرُّ بها ، يؤدي إلى نمو الأجهزة النفسيَّة الداخليَّة ، التي تُحَوِّلُ ذلك الصراعُ من صراعٍ خارجيّ مع البيئة إلى داخليّ مع النفس ؛ فالحرمان الذي عَانَى منْهُ المُتَنَبِّي في طفولته ، ومَنْعُهُ من إشباع حاجاته إشباعاً تامًّا ، جعله شخصيَّة نرجسيَّة متعاليَّة .

وممَّا سَبَق يتضح أنَّ المُتَنَبِّي نشأ نشأةً جادَّة إلى أبعد الحدود ؛ فقد عاش يتيماً ، وقامت جدَّته برعايته ، وكانت تُحِبُّه كابنها ، وكان يبادلها الشعور نفسه ، وسَمَّاهَا (أُمًّا) في رثائه لها .

فأبو الطيب لم يكن بِحُكْمِ نشأته هذه مِثْل سائر الأولاد في سنِّه ، بل رَبَّتْهُ جَدَّته على العِزَّة ، والكِبْرِيَاء ، والخُشُونَة ، والثَّورَة ، ونستطيع أَنْ نَلْمَح هذا من خلال قصَّته وهو صغير في المَكْتَب ، وقد كانت له وَفْرَة من الشَّعْر تسيل على أُذُنَيه ؛ فقال له بَعْضُ أَقْرَانِه : (يَا أَحْمَد ، مَا أَحْسَنَ هَذِه الوَفْرَة) ؛ فأجاب :

لا تَحْسُنُ الوَفْرَةُ حَتَّى تُرَى   مَنْشُورَةَ الضَّفْرَينِ يومَ القِتَال
عَلَى فَــتًى مُعْتَقِــلٍ صَعْدَةً   يُعِلُّهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السِّبَـــال [72]

وقد علق مَحْمُود مُحَمَّد شَاكِر على هذينِ البيتينِ بقوله : « هو الرُّجولة والفُتُوَّة ، وبُعْد الهِمَّة , وعظَم المطلب , وانصرافه عن سفساف الأمور إلى معاليها , لا يعبأُ بلذَة لا تُجْدِي خيراً , ولا تؤتِي ثَمَرًا » [73] .

إنَّ هذا الصَّبِيَّ لا يُشْبِهُ أقرانَهُ ، ويرْجِعُ ذلك الاختلاف إلى أُسْرَتِهِ ، التي كان لها أكبر الأثر في تكوين شخصيته ، وتأليف ذوقه ، وأنماط تفكيره ؛ فَإِنَّ الأُسْرَةَ إذا أحسنت التعامُل مع الطفل شَبَّ صَالِحًا نَافِعًا لِنَفْسِهِ ومُجتَمَعِــهِ .

ومن المعروف أن خصائص الشخصيَّة وسماتها النفسيَّة تُمَكِّن الفَرْد من أن يعيش حياته ، وأن يُعبِّرَ عن نفسه ؛ وهي ليست ميول مُورَّثَة [74] .

ونرى ذلك في شخصية المتنبي ؛ فهو لم يَرِثْ خصائص شخصيته من أسرته ، لقد حَكَمَتْهُ طبيعته النرجسيَّة وعُقْدَتُهُ الأُولَى (عُقْدة جَدَّته في تضخيم رجولته) ، ويؤكد عِلْم النفس الحديث أنَّ الشخص النرجسيّ يُحِبُّ أن يظهر بمظهر الجدّ ؛ لذا يُظْهِرُ عدم الميل إلى (الجِنْس) , والإعراض عن (الدُّعَابة والفُكَاهة) .

فَإِنَّ مِنَ الأَوصَافَ السُّلُوكِيَّة للمَرْضَى النرجسيين – كما وَضَّحَ **كوت** – أنهم يُظْهِرُونَ نَقْصًا فِي الدُّعَابَةِ وَالضَّحِك[75] ، وتَنْطَبِقُ هذه الصفات – إلى حَدٍّ كبير – على شخصية المُتَنَبِّي الجَادَّة الحَازِمَة البعيدة عن الدُّعَابة والضحك .

وقد قَضَى المُتَنَبِّي طفولته في كَنَف جَدَّته ، التي أسهمت في تحريف وتشويه عملية نُمُوِّه المُبَكِّرَة ؛ لأَنَّهَا فَرَضَتْ عليه أحكامًا قاسية ليس في مقدوره أن يُنْجِزَهَا ، ووَجَّهَتْ له نقدًا كثيرًا لعجزه عن أداء المَهَام المَنُوطَة به ، ولم تمنحه الحُبّ الذي يُشْعِرُهُ بالأمان ؛ ممَّا جَعَلَهُ يَشْعُرُ بالضَّعْف ، ويُعَانِي من الخُضُوعِ والإِذْعَان ، وكان تأثير ذلك في نفسه كبيرًا ؛ فعَجَزَ – فيما بعد – عن الشُّعُور بالسَّلام النَّفْسِيّ ، ونَمَا لديه حُبٌّ للذات بطريقة مُبَالَغ فيها ، تَتَجَاوَز الحدود .

وعندما يَضَعُ الوَالِدَانِ معايير جامدة أو قاسية للسلوك ، ويفرضان على الطفل مطالب تَعْجَزُ قُدُرَاتِهِ عن إنجازها ، عندئذٍ ينمو لدى الطفل إحساسٌ بالعجز [76] .

إن المعايير الجامدة القاسية التي وضعتها له جَدَّته في طفولته ، أَدَّتْ إلى نمو شعور العجز والنقص لديه ؛ مِمَّا دَفَعَهُ إلى السلوك النرجسيّ ؛ عِوَضًا عن عجزه في الطفولة ؛ فظهرت آثار النرجسيَّة في شعره .

وتأتي النرجسيَّة المَرَضِيَّة « منْ مُعَامَلَةِ الوَالِدينِ للطفل ؛ فعندما يصل إلى مرحلة البُلُوغ وله والدانِ ذَوَا أَنَا أَعْلَى معقولةَ ليست مُتَغَطْرِسَةَ أو مُسْتَبِدَّة أو عَنِيفة ، وعندما يفرضانِ أحكاماً يكون في مقدوره أَنْ يُنْجِزَهَا ، وهي تَسْمَح للفرد أن يعيش معظم حياته في سلامٍ مع نفسه ، متحرراً مِنَ الإِحْسَاس بِالأَحْمَالِ الثقيلة ؛ فإنه ينشأ سويًّا ، ولَدَيه حُبٌّ لذاته بطريقة عاديَّة , مقابل ذلك هناك مَنْ لا يكونوا محظوظينَ بنفس الدرجة عندما يولدون لآباء يُسْهِمُونَ في تحريف وتشويه حادّ لعمليَّة النُّمُوّ المُبَكِّرَة ؛ إذ يضع الوالدانِ معايير جامدة أو قاسية للسلوك , ويفرضانِ على الطفل مطالب تَعْجز طَاقته وقُدُرَاته عن إنجازها , عندئذٍ ينمو لدى الطفل الإحساس بالعجز ، وإذا اتَّسَمَ أسلوبهما بالعُنْف والغَضَب وعدم الحب والعطف والرحمة الكافية ؛ فَإِنَّ الطِّفْلَ يُصْبِحُ أكثر اعتماداً عليهما ، وأكثر جوعًا للحُبّ الذي يُنْكِرَانه عليه ، وعندما تنمو الأنا الأعلى عنده ؛ فَإِنَّها تَتَبَنَّى المَثَل الأعلى والأحكام العُلْيا غير الواقعيَّة للوالدين » [77] .

إِنَّ الوَالِدَ القاسي تُمَثِّلُهُ جَدَّته , التي غَلَبَ عليها القسوة معه ، ولا تَنْبَعِث هذه القسوة عن كُرْهٍ ، إنما هي نتيجة حُبّ قد يكون زائدًا على حَدِّه ؛ فهي تحبه لدرجة أنها تريده (رجلاً) بكل ما تَحْمِلُه الكلمة من معانٍ , وهذا ما يُفَسِّرُ قسوتها عليه بتكليفه ما هو أكبر من سِنِّه ، وفي رأيي أَنَّ هذه المُغَالاة في تربية المُتَنَبِّي هي الشرارة الأولى لتكوين شخصيته وعُقْدَته التي لازمته في كُلِّ مراحل حياته .

ومِمَّا أسهم في تكوين هذه الشخصية المعتمدة على نفسها المحرومة من الحب ، يُتْم أَبِي الطَّيِّب ، وَجَدَّته إِنْ قَامَتْ بدور الراعِي له الحانِي عليه (بطريقتها الخاصَّة) ؛ فلا أظنها قد استطاعت احتواء نفسيَّة هذا اليتيم كما ينبغي .

فالمُتَنَبِّي يريد ما هو فوق التحقيق ، وهو يَعْرِفُ ذلك ؛ إنه يبحث عن المثاليَّة في حياته ، وجعلته هذه التربية يرى في الحب نوعًا من الضَّعْف لا يَلِيقُ به .

ويرى **كيرنبرج** أَنَّ الفرد النرجسيّ قد تُرِكَ عندما كان طفلاً يُعَانِي جوعًا عاطفيًّا من أُمّ غير متعاطفة ، وعند افتقاده الشعور بالحُبّ ؛ فَإِنَّ مَلاذُهُ الوحيد حينئذ هو أن يتحصن ببعض جوانب نفسه التي بَخَّسَت أُمُّه قَدْرَهَا ، ومِنْ هُنَا تنمو مشاعر عظمة الذات ، التي تَرَكَّبَتْ من : جوانب الإعجاب عند الطفل ، فضلاً عن النسخة المُتَخَيَّلَة من ذاته التي عَوَّضَتْ الإحباط ، ودافعت أمام الغيظ والحَسَد ، وأخيراً الصورة المُتَخَيَّلة للأم الودود ؛ حيث اتَّحَدَتْ هذه التركيبات النفسيَّة الثلاث واندمجت معًا في عظمة الذات [78] .

ورَثَى المُتَنَبِّي جَدَّته ، وكانت قد يَئِسَتْ منه لطُول غَيبَته ؛ فكَتَبَ إليها كتابًا ؛ فَلَمَّا وصلها قَبَّلَتْهُ وَفَرِحَتْ به ؛ وحُمَّتْ مِنْ وقتها ؛ لِمَا غَلَبَ عليها من السرور ؛ فماتت :

ألا لا أُرِي الأحداثَ حَمْدًا ولا ذَمَّا فَمَا بَطْشُهَا جَهْلاً، وَلا كَفُّهَا حِلْمَا
لَك اللهُ مِــنْ مَفْجُوعَــةٍ بِحَبِيبِهَــا قَتِيلَة شَوق غَيرَ مُلْحِقِهَــا وَصْمَا
أَحِنُّ إِلَى الكَأْسِ التِي شَرِبَــتْ بِهَا وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا
بَكَيتُ عَلَيهَا خِيفَــةً فِــي حَيَاتِهَــا وَذَاقَ كِلانَا ثُكْلَ صَــاحِبِه قِدْمَــا
هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّأْرَ فِيكِ مِنَ العِدَى فَكَيفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فِيكِ مِنَ الحُمَّى [79]

فأبو الطيب – وهو في مَقَامِ حُزْنِهِ العَمِيق على جَدَّتِه – لا يستطيع أن ينسى نفسه والفخر بذاته ، وكأنه يقول لها – على البُعْدِ – : ها أنا يا جَدَّتِي على الرغم مِنْ حُزْنِي الشَّدِيد عليكِ ، ما زِلْتُ هذا اليتيم الذي تَرَبَّى على معاني الثورة والإباء ، وإنني لن أتخلى عَمَّا كان بيننا من عُهُود الرجولة .

يتصارع تياران داخل المتنبي : تيار يحثه على الانتقام ، ولكن ممن ينتقم ؟ وتيار يغمره بالحزن ، وهو التيار الأقوى في القصيدة ؛ فأخذ الثأر من العدى لا يكفيه ، ومن حزنه يود لو أن الحمى رجلاً ليقتله ويشفي غيظه.

طفولة المتنبي – إذن – كانت هي البداية الأكثر أهمية لإشعال فتيلة النرجسيَّة في نفسه , تلك الفتيلة التي لم تنطفئ طوال حياته .

ويمكن أن نستخلص الأوصاف السلوكيَّة للمرضى النرجسيين من كتابات **كوت** ؛ فهؤلاء المرضى يشكون من اضطرابات في نواحي مختلفة جنسياً (sexuality) ؛ فهم يقرون بوجود خيالات وأوهام الانحراف ، أو عدم الاهتمام بالجنس [80] .

لقد تركَّزت نرجسية المتنبي في حبِّه لذاته ؛ فكان موضوع الحب هو نفسه ؛ فعشق نفسه ، وهام بها ، وبعد عن الموضوع الجنسيّ ؛ فلم يظهر أيّ اهتمامات جنسيَّة ، وظهر ذلك بوضوحٍ في شعره .

ج) وضاعةُ نسب المتنبي :

يُعرف والد المتنبِّي بعيدان السقَّا ، ويقال إنه كان سقَّاءً بالكوفة ، خامل الشأن ، وهذا ما دفع بعضُ الدارسين أن يجعلوا منه لُغزاً , وجعل آخرين ينكروا وجوده ، أو يحطُّوا من شأنه .

وقد لبَّى والدُ المتنبِّي نداء ربِّه مبكراً ، وابنه ما زال في فواتح حياته ، وقد ترعرع وشعر وبرع [81] ، ويبدو أنَّ أُمَّهُ قد لحقت به ، أو سبقته بفترة قصيرة ، وكان لهذا اليتم كبيرُ أثرٍ في المتنبِّي ؛ حيث علَّمه تحمُّل المشاق ، وأخذ الحذر في معاملة الناس .

الجدير بالذكر أن المتنبِّي لم يذكرهما في شعره رثاءً أو مدحاً أو فخراً ؛ فقد ماتا وهو حدثٌ صغير لا يُدرِكُ من أمرهما شيئاً ، ولا يعرف عنهما إلا ما حكته جدَّته التي قامت على أمره . فإذا افترضنا أنَّ أحدهما قد مات والمتنبِّي في السادسة ، ثُمَّ قال الشعر – بعدُ – في الثامنة عشرة ؛ فيكون قد مرَّ على رحيلهما أكثر من عشر سنوات .

ولَمْ يفخر بأبيه ؛ لأنَّهُ كان يتأفَّف من مهنته ، وكثيراً ما هُجِيَ بمهنته تلك ، يقول أحد الشعراء :

عَاشَ حِينًا يَبِيعُ بِالكُوفَةِ المَا ءَ ، وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ المُحَيَّا [82]

وهجاه ابن لنكك البَصْرِيّ حينما سمع بقدومه بغداد راجعًا من مصر ووقوع شعراء بغداد فيه ؛ فقال :

لَكِنَّ بَغْدَادَ جَادَ الغَيثُ سَاكِنَهَا نَعَالُهُمْ فِي قَفَا السَّقَّاءِ تَزْدَحِمُ [83]

ثُمَّ إِنَّ أَبَاهُ لم يَكُنْ رجلاً ذا بالٍ في السياسة أو غيرها من الشؤون هذا من ناحية ، ومِنْ ناحية أُخْرَى فلم يَكُنْ المُتَنَبِّي يُحِبُّ الفخر بأهله ، بل يفخر بِنَفْسِه وشَرَفِه ، ويَفْخَرُ قَومُهُ بِه .

فكيف يُطْلَب مِنْ مِثْل هذا الرجل أن يتذكر أبواه بعد موتهما بفترة طويلة ، وغَالِبُ ظَنِّي أَنَّ الهَالَةَ التي صَنَعَها أَبُو الطَّيِّب في دُنْيَا الشِّعر قد طَغَتْ على ذكر والِدَيه ؛ فقد انشغل بطلب المَجْد ، وأَولاهُ جُلّ اهتمامه .

ونحن لا نتوقع – بالطبع – أن يُفْصِحَ التاريخ عن كُلِّ ما نَودُّ معرفته عن طُفُولة الشاعر ؛ فطُفُولة المُتَنَبِّي مجهولة « كطفولة غيره من الشعراء الذين عاصروه أو سبقوه ، وليس في ذلك شيءٌ من الغرابة ، مَا دُمْنَا نَجْهَل مِنْ أَمْرِ أُسْرَتِه الخاصَّة كل شيء ، أو نكاد نجهل مِنْ أَمْرِهَا كُلَّ شيء ، وما دُمْنَا لا نَعْرِفُ شيئًا عَنْ أُمِّه ، ولا نَكَادُ نَعْرِفُ شَيئًا عَنْ أَبِيه » [84] .

ولابد أن نذكر قول طَه حُسَين عن نسب المُتَنَبِّي ؛ حيث يقول : « ينتهي مِنْ قِبَل أبيه إلى جُعْفِي ، ومِنْ قِبَل أُمِّه إلى هَمْدَانَ ، وهما حَيَّان من أحياء اليمن ... وجائزٌ جدًّا أن يكون المُتَنَبِّي عربيًّا ، وجائزٌ أن يكون من عَرَب الجَنُوب » [85] .

وقد ذَهَبَ إلى أَنَّ نشأة المُتَنَبِّي تُحيطُ بها غَوَامض يَعْسُرُ فَهْمَهَا ، ولا تُمَكِّن الأَخْبَارُ الموفورة من النَّفَاذ إلى خَفَايَاها [86] ، وانتهى إلى أَنَّ طُفُولَتَهُ « لم تكن طفولة عاديَّة مألوفة » [87] ، وأَعْلَن شَكَّهُ في معرفة المُتَنَبِّي لأُمِّه وأبيه [88] ، وأَقَرَّ بأَنَّ « شُعُورَ المُتَنَبِّي الصَّبِيّ بهذه الضَّعَة أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأَدنيين ، قد كَانَ العُنْصُرُ الأَوَّلُ الذي أَثَّرَ في شخصيَّة المُتَنَبِّي ، وبَغَّضَ إليه الناس ، وفَرَضَ عليه أَنْ يَرَى حياته بينهم لم تكن كحياة أَتْرَابِه ورِفَاقه ، وإنما كانت حياةً يُحِيطُ بها كثيرٌ من الغُمُوض ، ويأخذها كثيرٌ من الشُّذُوذ » [89] .

وقد أَرْجع رحيل المُتنبي عن الكوفة إلى أنه « لَمَّا تَقَدَّمَتْ به السِّنُّ قليلاً ، قد عَرَفَ منْ أَمْرِ نَفْسه ، ومنْ أسرته ما أنكره ، ومَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُقِيمَ مَعَهُ في الكُوفَة ؛ فَآثَرَ الرَّحِيلَ » (90) .

إِنَّه يَشُكُّ في نَسَبِ المُتَنَبِّي ، ويتهمه بأنه ابنٌ غيرُ شَرْعِيّ ؛ فيرى أَنَّ مَولِدَهُ كان شاذًّا ، وأن المُتَنَبِّي نَفْسَهُ أدرك هذا الشذوذ ، وتَأَثَّرَ به في سيرة حياته (91) .

لَكِنَّ مَوهِبَةَ المُتَنَبِّي المرتبطة بحساسيته المُرْهَفَة لم تَكُنْ لتقبل بهذا الأصل الذي لا يَتَوَافَقُ معها ، وكان لا بُدّ لَهُ منْ أن يَرْفُضَ ذلك في أعماق نفسه ، بالكَبْت أو التَّعْويض أو التعالي والتسامي ؛ لذلك ففي شِعْر المُتَنَبِّي منذ صِبَاه اعتزازٌ دائمٌ بِفِعْلِه لا بِنَسَبِه ، بِنَفْسِه لا بِأَصْلِه ، وقد فَخَرَ بقومه وآبائه في شعره دُونَ أن يذكر اسم رجل أو عشيرة أو قبيلة ، يقول في إحدى قصائد الصِّبَا :

لا بِقَومِي شَرُفْتُ ، بَلْ شَرُفُوا بِي ... وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لا بِجُدُودِي (92)

إنه لا يَشْرُفُ بِقَومِه ، وإنما يَشْرُفُ قَومُهُ بِه ، ولا يَفْتَخِرُ بِجُدُوده ، وإنما يَفْتَخِرُ بِنَفْسِه ، وشَرَفِه ، وسَيفِه ، ورُمْحِه .

وقال في رثاء جَدَّته لأُمِّه :

وَإِنِّي لَمِنْ قَومٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا ... بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالعَظْمَا (93)

وقال في قصيدة الحُمَّى بمصر :

وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ ... بِأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدٍّ هُمَامِ (94)

إِنَّ إحساس المُتَنَبِّي بوضَاعَة نَسَبِه يُطَارِدُهُ أينما حَلَّ أو اتجه ، وقد وَلَّدَ في نفسه نوعاً من التَّحدِّي للذات والواقع لم تعرفه الشخصيَّة العربيَّة من قبل ، إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَ المَجْدَ والعظمة من العَدَم ، وهو يَرَى نَفْسَه فَوقَ قَومٍ يُفَتِّشُونَ عن نَسَبِه ، يقول :

أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الـ ... ـبَاحِث وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهْ

وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الجُدُودَ لَهُمْ ... مَنْ نَفَرُوهُ ، وَأَنْفَدُوا حِيَلَهْ

فَخْرًا لِعَضْبٍ أَرُوحُ مُشْتَمِلَهْ ... وَسَمْهَرِيٍّ أَرُوحُ مُعْتَقِلَهْ (95)

وقد أشار **كيرنبرج** إلى أن أخاييل العظمة توجد – جنباً إلى جنب – مع الشعور بالنقص في الشخصية النرجسيَّة المضطربة [96] ، وينطبق هذا على المتنبي ؛ فقد كان شعوره بالنقص لوضاعة نسبه دافعاً لنرجسيته ؛ فأصبحت أخاييل العظمة لديه تسير – جنباً إلى جنب – مع نرجسيته .

فهو لَمْ يُعَيِّنْ أباً أو جدَّاً يَفْخَرُ به ، وإنما جعَلَ نَسَبَهُ فَوقَ مَنْ يتقصَّى نَسَبَهُ ؛ لأنَّهُ ليس بحاجة إلى الفخر بآبائه ، أو جدوده .

وقد ذَهَبَ مَحْمُود مُحَمَّد شَاكِر إلى أَنَّ المُتَنَبِّي ابن أحد العلويينَ الأشراف ؛ حيث تَزَوَّجَ هذا العلويّ في السرّ أمّ المتنبي ، واضطرّ إلى التخلِّي عنها فماتت كَمَدَاً ؛ فأرضعته إحدى العلويات ، ونشأ على كتْمَان نَسَبِه [97] ، وأَورَدَ بَعْضَ الأشعار الدَّالَّة على ما يقول ؛ معتمداً على منهج (التَّذَوُّق الفنيّ) ، ورَوَى أخباراً تُوَثِّق ذلك الرأي ؛ كرواية أبي القاسم الأصفهانيّ التي تقول إنه كان ابن سَقَّاء ؛ فاختلف إلى كُتَّاب فيه أولاد أشراف الكُوفَة ؛ فكان يتعلم دُرُوس (العلويَّة) شعراً ولغةً وإعراباً ؛ فنَشَأَ في خَيرِ حَاضِرَة [98] . وأردف أن للأشراف مَدَارِس خاصَّة يتلقى فيها أولادهم مبادئ العلوم . فيجوز أن نَفْهَم من هذا أن جدَّة المُتَنَبِّي بينها وبين العلويينَ سبباً موصولاً قويًّا , هو الذي دفعهم أن يُدْخِلُوا بين أبنائهم غلاماً كان أبوه سَقَّاء في بلدهم [99] .

ومِمَّا يُدَلِّلُ على خُمُول نَسَبِه : اختلاف المؤرخينَ في تسمية أجداده ، وحرصه على كَتْم نَسَبِه إشفاقاً مِمَّا عَسَى أن يَكُونَ بين قومه والقبائل من عَدَاوة [100] .

وقد اعتاد الناس أَنْ ينسبوا المشاهير إلى عَظَمَة النَّسَب والعزِّ والجَاه ، إلا أَنَّ الأمر اختلف مع المُتَنَبِّي ؛ فنَسَبُوهُ إلى الوَضَاعة والهَوَان ، وإِنْ كَانُوا غيرَ مُتَحَامِلينَ عليه في هذه النسبة ؛ فأصابه الذهول ! إذ كيف تُنْسَب هذه الشاعريَّة والعظمة ، وهذا الطُّمُوح والجُمُوح والقوة والبأس إلى الوَضَاعة ؟!

لَكِنْ لا ضير ؛ فَإِنْ كَانَت وَضَاعَةُ نَسَبِ المُتَنَبِّي حقيقة ثابتة ؛ فَإِنَّ عظمته وكبريائه وشاعريته حقيقة أكبر وأشد وضوحاً مِنْ حقيقةِ نَسَبِهِ ،

وعندما اجتمعت وضاعة النّسب مع التفوق العِلْمِيّ في مرحلة الصبّا كان ذلك دافعًا لنرجسيّته .

إن الشعور بالنقص أو العجز – في رأي **أدلر** – « سبب جميع العلل العصبيَّة والأمراض العقليَّة ... والتَّخلُّص من هذا الشعور يتم إمـا بادعـاء الرفعة والتظاهر بالعظمة ، وإما بمحاولة القيام بعمل يرْفَع قَدْر المَـرْء فـي أَعْيُنِ النَّاس ، تعويضاً عمَّا يَشْعُرُ به في قرارة نفسه من نقص » (101) .

لقد وقف المُتنبي بالمرصاد لكُلّ منْ حَاوَلَ أن يُقَلِّلَ منْ قيمته ، ويَحُطَّ منْ نَسَبِهِ ، وكانت سهامُ كلمَاته نَافذَة ، ولا شَكَّ في أَنَّهُ حَطَّمَ مَنْ حَاولَ أن يُنَدِّدَ به ، لقد استطاع – بعظَمته وشُمُوخه وكبريائه – أن يُحَوِّلَ الهزيمة إلى نصر ؛ بأَنْ جَعَلَ نَسَبَهُ المُتَوَاضِع حافزًا يدفعه نحو بناء صَرْح العظَمَة والمَجْد ؛ لأنه يعلم أنه لا مَالٌ لديه ، ولا نَسَبٌ يَسْتَنِدُ إليه ، وليس له من دنياه إلا قَلبُهُ المُضْطَرِب ، وعَاطفَتُه الجَيَّاشَة ، ونَفْسُهُ الأَبِيَّة التي جعلته يعيش في حالة دائمة من المعاناة ، أعطت لشعْرِه تَوَهُّجًا دائماً .

لقد استطاع – بالفعل – أن يَجْعَلَ منْ شعْرِه مُعَادلاً موضوعيًّا (Objective) Correlative (102) للمجد الذي لَمْ يُحَقِّقْهُ له نَسَبُه ؛ وللإنصاف فإنَّ هذا لم يكن كُلّ هَمّ الرجل ؛ لأنه منْ أولئك الرجال الذين يَمُنُّ الزمانُ على الدنيا بواحد منهم كُلّ ألف عام .

ولا نَعْجَبُ عندمًا نجده يجعل النَّسَبَ يَفْتَخِرُ به عندما يقول في رثاء جَدَّته :

وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْـرَمِ وَالِـدِ لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَونُكِ لِي أُمَّا (103)

لقد استطاع أَنْ يَجْعَلَ نُقْطَةَ ضَعْفه سببَ قُوَّته ونَجَاحه ، وتَغَلَّبَ على وَضَاعَة نَسَبِه ، وأَغَاظَ الحَاسدينَ ، وافتخر بنفسه في تَحَدٍّ ، وكأنه يقول : (هَلْ مِنْ مُبارِزٍ؟) .

د) فَقْرُ المتنبي :

اختلف المُتَنَبِّي – على الرغم من حَالِ أَهْله المُتَوَاضعَة – إلى كُتَّاب فيه أولاد أشراف الكُوفَة ، ولا رَيبَ في أَنَّهُ « تَحَمَّلَ تلك المضايقات التي يلقاها تلميذٌ فَقير ضائع بين رِفَاقِهِ الأغنياء ، ولَعَلَّ في هذا اللقاء الأَوَّل مع

الناس ، وإنْ كُنَّا لا نبغي المبالغة في أهميته ، منشأ نُفُور المُتَنبِّي من الناس » [104] .

وإنْ كانت يَدُ الرَّجُلِ خَاوِيَةً منَ المَال ؛ فَإِنَّ قلبَهُ عامرٌ بما هو أعظمُ سَطْوَةً وأشَدُّ نَفْعًا منَ المال ، إنه الطُّمُوح الذي يَصِلُ إلى درجة الجُمُوح والثَّورَة ، ذلك الطُّمُوح الذي هَدَمَ أركان الخوف الكامن في بعض جوانبه ، وجعله قادرًا على تحصيل المَجْد .

كان المُتَنبِّي مُحبًّا للمَال ، يَحْرِصُ على جَمْعِه ، وذلك رَاجِعٌ إلى « أيام صِبَاه ، يومَ كَانَ لا يَجِدُ قُوتَ يومه ، فَعَلَّمَهُ ذلك قيمَةَ المَال ، والشَّهْوَة إليه ، والحِرْص عليه » [105] ، وقد أَوصى بتدبير المال وتوفيره ؛ لأَنَّه وسيلةُ المَجْد وعمَاده ، يقول :

فَـلا يَنْـحَلْ فَـي المَجْد مَالُكَ كُلُّهُ فيَنْحَـلَّ مَجْـدٌ كَـانَ بالمَال عَقْـدُهُ
وَدَبِّــرْهُ تَـدْبِيرَ الَّـذي المَجْدُ كَفُّــهُ إذَا حَـارَبَ الأَعْـدَاءَ وَالمَالُ زَنْـدُهُ
فَـلا مَجْـدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَـالُهُ وَلا مَـالَ فِـي الدُّنْيَا لِمَنْ قَـلَّ مَجْدُهُ [106]

وجَعَل المُتَنبِّي هَمَّ الفَقْرِ يُذْهِبُ النَّومَ حين قال : « لا رَقْدَةٌ مَعَ الإِعْدَامِ » [107] ، وهي تَدَلُّ على ما يعتمل في عقله الباطن من تفكير وانشغال دائم بِأَمْرِ الرِّزْق ؛ فَإِنَّ المَجْدَ مرتبطٌ بالجَاه والمَال لا محالة ؛ فكيف تأخذه سِنَة النَّوم مَعَ الفَقْرِ !

وقد كتب **تارتاكوف** (tartakoff) عن المشغولين بالسعي وراء الاستحسان والثروة والقوة والمكانة الاجتماعيَّة وارتباطهم بالاضطرابات النرجسيَّة [108] .

لقد دفعه الفقر إلي أن يسعى لتحصيل الثروة والأموال ، ومِنْ ثَمَّ القوة والجاه والمكانة الاجتماعيَّة ؛ ففقره من الأسباب البارزة في تكوين شخصيته النرجسيَّة .

يشكو المُتَنبِّي فَقْرَهُ في شعره ، يقول في إحدى قصائد الصبا :

أَيــنَ فَضْـلي إذَا قَنِعْتُ مِـنَ الدَّهْــ ــرِ بعَـيْـشٍ مُعَـجَّـلِ التَّنْكِيدِ
ضَاقَ صَدْرِي ، وطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْ قِ قِيَامِــي ، وَقَلَّ عَنْهُ قُعُــودِي [109]

إنه لا يَقْنعُ مِنَ الدَّهْرِ بعيشٍ قَدْ عُجِّلَ نَكَدُه ، وأُخِّرَ خيره ، لقد أجهد نفسه في طلب الرزق ، والسَّعْيِ لِكَسْبِه ، وطَالَ سَفَرُهُ وقيامُهُ ؛ بُغْيَةَ كَسْبِ المَال ، ولكنه لم يجد – بعد كُلِّ هذا الجهد – من الرِّكَاب إلا نعلاً سوداء ، يقول :

وَحُبِيتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ   مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوتُ أَمْشِي رَاكِبَــا (110)

ويرى أَنَّ الغِنَى عند اللئيم قبيح ، ولَكِنَّ الفَقْرَ والعُسْرَ عِنْدَ الكَرِيمِ أشدّ قبحاً ، يقول :

وَالغِنَى فِي يَــدِ اللَّئِــيمِ قَــبِيحٌ   قَــدْرَ قُبْحِ الكَرِيمِ فِــي الإِمْــلاقِ(111)

وأرى أن قوله :

يَجْنِي الغنَى لِلِّئَامِ لَو عَقَلُــوا   مَا لَيسَ يَجْنِي عَلَيهِمُ العَدَمُ
هُمُ لأَمْوَالِهِمْ وَلَيــسَ لَــهُــمْ   وَالعَارُ يَبْقَى وَالجُرْحُ يَلْتَئِمُ (112)

يُعَبِّرُ عن إحساسه المُتَأَصِّلِ بالفقر ، وأثره الكبير في نفسه ، وحُزْنه الشديد من جَرَّائه ، ويظهر ذلك في قوله : (وَالعَارُ يَبْقَى) ؛ فهو لا يرى عاراً يَظَلُّ مُلازِماً للإنسان ، ويُنَغِّصُ عَيْشَهُ ، كالفقر .

ولا عَجَبٌ في ذلك ؛ فقد أذاقه الدهرُ مِنَ الفَقْرِ والغُرْبَة شيئًا لو ذاقه الدهر لبكى وانتحب ، ولم يَصْبِر عليه ، يقول :

أَذَاقَنِي زَمنِي بَلْوَى شَرِقْتُ بِهَا   لَو ذَاقَهَا لَبَكَى مَا عَاشَ وَانْتَحَبَا (113)

وقد تَهَدَّجَ صوتُه قَائِلاً لِمَنْ لامَهُ فِي الفَقْرِ : لا تَلُمْنِي ، ولُمِ الدهرَ الذي أَتْلَفَ مَالِي :

لُمِ اللَّيَالِي التِي أَخْنَتْ عَلَى جِدَتِي   بِرِقَّةِ الحَالِ وَاعْذُرْنِي وَلا تَلُمِ (114)

وقال في صباه :

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَــا يَبْتُــرُ الفَقْرَ قَاعِداً   فَقُمْ وَاطْلُبِ الشَّيءَ الذي يَبْتُرُ العُمْرَا
هُمَا خَــلَّتَانِ : ثَــرْوَةٌ أَو مَــنِيَّــةٌ   لَعَلَّكَ أَنْ تُــبْقِي بِــوَاحِــدَةٍ ذِكْــرَا (115)

إنه يَتَوَسَّلُ إِلَى الجَاه والسُّؤْدُدِ بِجَمْعِ المَال ؛ بوصفه وَسِيلَةً لتحقيق آماله المفقودة ؛ فقد نشأ في أُسْرَةٍ فقيرة ؛ فأدرك أَنَّ الجاه والسيادة يحتاجانِ إلى سُلْطَانِ المال .

ويرى **أدلر** أَنَّ النُقُودَ لها قُوَّة فَعَّالَة ؛ فكثيرٌ من الأفراد يعتقد أنه قادر على تحقيق أيِّ شيء عن طريق النقود ، وهذا يرجع إلى طموحه وغروره [116] ، ولا شك في أن الاستحواذ على القُوَّة مرتبط – بِشِدَّة – بامتـلاك النقود .

فَإِنَّ سَعْي المُتَنَبِّي الحثيث وراء النقود ؛ من أجل الحُصُول على الجاه والسلطان ، صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الغُرُور ، الذي يُفْضِي – بِدَورِهِ – إلى النرجسيَّة .

ويُوَضِّح **أدلر** أن الطفل الذي يُعَاني من أعباء اقتصاديَّة ، تَتَسَبَّب في إعاقته وتَبَنِّيهِ موقفًا مُعَادِيًا من العالم ، يُصبِحُ مَشْغُولاً بنفسه بدرجة كبيرة [117] .

وقد عاني المتنبي من الفقر منذ صغره ؛ فكان هَمُّهُ الأول الحصول علي المال ، وتَكَوَّنَ لديه موقفٌ مُعَادِيٌ مِنَ العالم ؛ فلقد أذاقه الفقر والغربة شيئًا لو ذاقه الدهر لبكي وانتحب .

هـ) تجَاهُلُ الآخَرِين لَه :

جَعَلَتْ البيئةُ مِنَ المُتَنَبِّي نَرْجِسِيًّا ؛ فقد أَسْهَمَتْ – بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوه – في تكوين نمط تعامُله مع الآخرين ، وإذا تَرَكْنَا طُفُولة المُتَنَبِّي لِنَدْخُلَ في مَرْحَلَةِ الشَّبَاب ، أو قُلْ (مَرْحَلَة التجاهُل) سنرى أثر البيئة ظاهراً في شخصيتّه .

ويسأل طَه حُسَين عن سبب رحلة المُتَنَبِّي إلى البادية : « فهل ارتحل لمجرد التبدِّي والاستفادة لِجِسْمِه ولِسَانِه وفَنِّه الشعريّ من الإقامة بين هؤلاء العرب البادين ، الذين كانَ العلماء يختلفون إليهم , ويقيمون بين أظهرهم , يَأْخُذُونَ عَنْهُم اللُّغَّة ، ويَرْوُونَ عَنْهُم الشِّعْر والأيام والأساطير؟ أو هل ارتحل الفتى إلى البادية لشيءٍ آخر غير هذا يتصل بالحياة السياسيَّة والاجتماعيَّة التي كانت محيطة به » [118] .

ويرى أنَّ المُتَنَبِّي قد عاد مِنَ البادية وهو قرمطيّ الرأي ، متحفز أن يكون قرمطيّ السيرة أيضاً [119] .

وأيًّا كان الأمر ؛ فَإِنَّ هذا الفتى كَبُرَ ومعاني الثورة – التي رَبَّتْهُ

عليها جدّته – تمور في نفسه ، وتدفعه لالتماس طريقًا للتغيير ، أو بمعنى أكثر وضوحًا للوثبة على السلاطين .

ومن أجل ذلك خرج المُتَنبِّي من الكوفة قاصدًا الشام ، وهو لم يتعدَّ السابعةَ عشرةَ من عُمْرِهِ ، ومَدَحَ كَثِيرينَ لتحقيق المآرب والآمال ، التي كانت تملأ نفسه ، ولسان حاله يقول :

مُحبِّي قِيَامِـــي مَا لذَالكُــمُ النَّصْـــلِ بَرِيًّا مِنَ الجَــرْحَى سَلِيمًا مِـــنَ القَتْلِ
أَرَى مِنْ فِرِنْدِي قِطْعَةً مِنْ فِــرِنْدِهِ وَجَودَةَ ضَرْبِ الهَامِ فِي جَودَةِ الصَّقْلِ[120]

لَكِنَّ هذا الفتى العزيز النفس الثائر الطبع ، الذي يَظُنُّ أَنَّ الكونَ خُلِقَ مِنْ أجله ، إذا لم يَلْقَ شيئًا ممَّا توقعه في ذهنه ؛ فَلا رَيبَ في أَنَّ الغَضَبَ سَيبْلُغُ مِنْهُ مَبْلَغَهُ .

وغيرُ خافٍ أَنَّ الشخص النرجسيّ مِنْ أَهَمّ سماته أنه يفقد صوابه تمامًا عندما يَشْعُرُ بالتجاهُل ممَّنْ حوله ، ذلك التجاهُل الذي يُحيلُهُ إنسانًا آخر لا يرى إلا نفسه ، إنَّ النرجسيَّة هنا رد فعل لا بُدَّ منه حتى لا يموت الشاعر كَمَدًا .

لقد أَخْفَقَ المُتَنبِّي في هذا الأوان كثيرًا ، ومَدَحَ مَنْ لا يُحِبّهم ، ثُمَّ لم يُقَدِّر الجميع شِعْرَ هذا الفتى على عكس ما توقع .

ولا نَعْرِفُ سَبب سِجْنِ المُتَنبِّي ، ولكنه ذَاقَ الذُّلّ والمهانة في تلك الفترة ؛ وممَّا قاله في السجن :

كُنْ أَيُّهَا السِّجْــنُ كَيفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطَّنْتُ لِلمَوتِ نَفْــسَ مُعْتَــرِفِ
لَو كَانَ سُكْنَــايَ فِيــكَ مَنْقَــصَةً لَمْ يَــكُنِ الدُّرُّ سَــاكِنَ الصَّدَفِ[121]

إنَّ هذه الأبيات مَحْضُ دِفَاعٍ عن النفس ؛ فهو يَعْرِفُ السِّجْنَ ، ومرارته ، وقدر ساكنيه ، لَكِنَّ طبيعته النرجسيَّة تَأْبَى أَنْ تُصَدِّقَ هذا ؛ إنها حِيلَة نَفْسِيَّة دِفَاعِيَّة واضحة جدًا .

لكنه تزحزح قليلاً عن موقفه – بعد ذلك – لأمرٍ في نفسه ، ومَدَحَ الأَميرَ واستعطفه ، « وقد سَمِعَ الأميرُ له هذه المَرَّة , ولعلَّه قد سَمِعَ لبعض الشافعينَ فيه ، ولعله أراد أن يُنْقِذَ سجينًا حَبَسَهُ سَلَفه ؛ فَجَمَعَ لَهُ – فِيمَا يُقَال

– جماعةً من أَصْحَاب الجَاه والشَّرَف والدِّين واستتابه ؛ فَتَابَ وأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ جَحَدَ ما كَانَ مِنْ أَمْرِه ، وعَادَ إِلَى سَبِيلِ المُسْلِمِينَ .

ويَظْهَرُ أَنَّ عفْوَ هذا الأميرِ التُّرْكِيِّ عن المُتَنَبِّي الشاب الذي نَهَكَهُ السِّجْنُ وَأَضْنَاهُ , قد مَلأ قَلْبَ الفتَى سُرُورًا ورضاً , وأثار في نَفْسه الأَمَلَ أيضاً » [122] ؛ فمَدَحَهُ بإحدى قصائده [123] ، ولَعَلَّهُ كان يَرْجُو أَنْ يَنَالَ خيرًا بهذه القصيدة وأمثالها ، ولَكِنَّ الأَميرَ أَبَى أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ أو يَسْمَعَ مِنْهُ , « وتَقَدَّم إليه في أن يَتْرُكَ الإقْلِيمَ قانعًا بسلامته وحياته ؛ فَخَرَجَ يَسْتَقْبِلُ حياةً جديدة ، ليست أقلَّ من حياته الأولى بُؤْسًا وضَنْكًا وشَقَاءً , وبيعًا للشِّعْرِ فِي سُوقِ الكَسَاد » [124] .

فأيّ ذُلٍّ هذا وأيّ تَجَاهُلٍ عندما يَرْفُضُ الأَميرُ القصيدةَ من المُتَنبِّي , وأيّ حُزْنٍ يتمكن مِنْ نَفْسِ هذا الفَتى المعتزّ بنفسه ، وأيّ خَيبَة أَمَلٍ تُلُمُّ به ؟

فيرحل أبو الطَّيِّب حزينًا مُنْكَسِرَ النفس ؛ آسفًا لأنه لَم يَجِدْ مَنْ يُقَدِّر قيمَتَهُ ، يقول محدثًا الأُسْدَ عندما سَمِعَ زئيرها بالفراديس :

أَجَارُكِ يَا أُسْدَ الفَرَادِيسِ مُكْرَمُ	فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مُهَانٌ فَمُسْلَمُ ؟
ورائِي وقُــدَّامي عُــداةٌ كَثِيرَةٌ	أُحَاذِرُ مِــنْ لصٍ ومنْكِ ومنهمُ
فَهَلْ لَكِ في حِلْفِي عَلَى مَا أُرِيدُهُ	فَإنِّي بِأَسْبَابِ المَعِيشَـــةِ أَعْلَـــمُ ؟
إِذًا لأَتَاكِ الخَيرُ في كُـــلِّ وجْهَةٍ	وأَثْرَيتِ ممَّـــا تَغْنَميـــنَ وَأَغْنَمُ [125]

مَنْ يقرأ هذه الأبيات يَشْعُر بِقَدْرِ الخَوفِ الذي يَشْعُرُ به هذا الغريب وهو يَجُوبُ الصَّحَارِي فيسمع صوتَ الأسود ، ويُحسُّ بِمَدَى الضِّيق الذي مُنِيَ به المُتَنبِّي , والوَحْدة التي غَلَّفَتْ حياته ؛ فهو لا يعرف أَيُحَاذِرُ مِنَ اللُّصُوص ، أم مِنْ هؤلاء الذين يُعادونه ولا يعرفهم ، لكنه بثقته بنفسه المعهودة – وإِنْ كَانَتْ هُنَا ليست أكثر من طِلاء – يُبْدِي تجلُّدًا ، ويُفَاوِضُ الأُسُودَ في أَنْ يَبْقَى معها حليفًا ؛ فهو بأسبابِ المَعيشَةِ أَعْلَمُ , بل يُغْرِيها ويُزَيِّنُ لها (الصفقة) ؛ فهي إذا قَبِلَتْ الحِلْفَ سيأتيها الرزقُ مِنْ كُلِّ جَانبٍ .

وكَأَنَّ لِسَانَ حَالِه يَقُول ساخراً سُخْرِيةً مُوغلة في الحُزْن : أَيَا أُسْدَ الفراديس ، هل لي مِنْكِ الحِلْف , (والناسُ جميعهم ضِدِّي) , وسوف تَجْلُبُ هذه المُحَالَفَة لكِ الخَيرَ فِي كُـــلِّ وِجْهَةٍ , (على الرغم من أني لا أملك جلب

رزقي الشخصي) ؛ لأني بأسباب المعيشة أعلم .

تُوحي هذه الأبيات بقدر التَّجاهُل الذي عَانَاهُ في هذه الفترة ، التي امتزج اليأس فيها بالنرجسيَّة في خبايا نفسه العميقة ؛ فخرج شِعْرُهُ نرجسيًّا مِنْ طِرَازٍ أعنف ، يفيضُ بالغيظ والحقْد على الجميع ، ويُغَلِّفُ بِكُرْهِ النَّاس والضيق منهم ، ويَرْجِعُ هذا العَدَاءُ ، المُبَالَغُ فيه ، من أبي الطَّيِّب للناس أجمع إلى التجاهُل المُرّ .

وتشير النرجسيَّة إلى تقدير الذات ، وتظهر في السُّمُو وجُنُون العظمة (126) .

إن التجاهل الذي عَانَى منه صغيراً ، وَلَّدَ التقدير العالي لذاته ، الذي ظَهَرَ في جُنُون العظمة ، والسُّمُوّ بنفسه ، يقول :

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الغَبِيِّ فَعَاذِرٌ أَنْ لا تَرَانِي مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ (127)

ويقول إنَّ أعداءه يتظاهرون بعدم معرفته ؛ مِنْ فَرْطِ حَسَدِهِمْ لَهُ وغَيظِهِمْ منه :

وَيُظْهِرُ الجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمِ مَنْ جَهِلَهْ (128)

لذلك نرى صرخاته النرجسيَّة وقد ازدادت عُنْفًا , وإيغالاً في المبالغة ؛ مِنْ فَرْطِ إعجابه بنفسه ، وإحساسه بالغُرْبَة في وطنه ؛ لأنَّ الناسَ لا يَعْرِفُون قَدْرَهُ ؛ فقارن نفسه بالمسيح بين اليهود ، وبصالح في ثمود ، كما نرى في قوله :

مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلاَّ كَمُقَامِ المَسِيحِ بَيْنَ اليَهُودِ
أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللَّـ ـهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ (129)

وقوله وهو صبيٌّ مغمور لا يعرفه أحد :

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِي ؟ أَيَّ عَظِيمٍ أَتَّقِي؟
وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ الـ ـلَّهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ
مُحْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي (130)

نرى المُتَنَبِّي – في هذه الأبيات – مضطربًا , ذا نبرة صوت عنيفة , وابتسامة خيلاء فارغة ، يَتَحَدَّى الآخرين ، ويرفع نفسه فوق الجميع ؛ مِمَّا يُظْهِر حماقته وغَيظه الشديد .

ويقول – في مدح عليّ بن أحمد بن عَامِر الأنطاكيّ – مفتخراً بنفسه ، معتزًّا بمواهبه ، مشيداً بشجاعته :

أُطَاعِنُ خَيلاً مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْــرُ وَحِيداً، وَمَا قَولي كَذَا وَمَعِي الصَّبْرُ!
وَأَشْجَعُ مِــنِّي كُــلَّ يَــومِ سَلامَتِي وَمَا ثَبَتَــتْ إلاَّ وَفِـــي نَــفْسِهَا أَمْــرُ
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّنِي الــ ــجِبَالُ ، وَبَحْرٍ شَاهِدٍ أَنَّنِي البَحْرُ (131)

عندما يَشْعُرُ المُتَنبِّي بالتجاهُل ، يُعْرِضُ عن المتجاهلينَ بِعُنْف ؛ محاولاً استعادة ثقته بنفسه ، الأمرُ – إذن – حيلة دفاعيَّة ، يلجأ إليها الشاعر للتنفيس عن النزعات المكبوتة التي يَكْتُمُهَا في نفسه ؛ من جرَّاء إحساسه بالعَظَمَة والشُّمُوخ .

يوضح **أدلر** أَنَّ كثيراً من الأفراد يستخدمون طُرُقًا عديدة للتحايُل على المجتمع وتأكيد أهميتهم ؛ كالتعجرف والغطرسة ؛ فالشخص المُتَغَطْرِس ما هُوَ إلاَّ شخص يُعَانِي من عُقْدَة نَقْص ؛ فهو يُفَكِّرُ قائلاً لنفسه : مِنَ المُرَجَّح أَنَّ كثيراً من أفراد ذلك المجتمع المحيط سيحاولون تَجَاهُلِي والتَّقْلِيل مِنْ شَأْنِي ؛ ولهذا فمن الواجب عليَّ أن أسبقهم وأُرِيهِم مَدَى أَهَمِّيتي ، ومِنْ ثَمَّ يكون سلوكه الذي يتسم بالغطرسة ، وهذا السلوك ما هو الا وجه مِنْ وُجُوه النَّرْجِسِيَّة (132) .

ومن هنا نَرَى أَنَّهُ يُوجَد خَلْفَ جميع أنماط السُّلُوك التي تُحَاوِل أَنْ تُظْهِرَ شعوراً بالتَّفَوُّق عُقْدَة نَقْص ، تدعو إلى بَذْل جُهُوداً خاصَّة لإخفاء مشاعر النقص ، التي يُعَانِي منها الفرد ، والتي أخفاها المتنبي بنرجسيته ؛ ففرط غطرسته وعجرفته ، نتج من شعوره بأن الناس لا يعرفون قدره الرفيع ؛ لذا ظهرت مبالغته في إعجابه بنفسه ؛ فَتَحَوَّل إلى إنسان أكثر نرجسيَّة .

و) الشُّعُور بالاضْطِهاد :

أقبل أَبو الطَّيِّب – في بداية هذه المرحلة – على بَدْر بن عَمَّار بن إسماعيل الأسديّ فرحاً مُسْتَبْشِراً بالخير ، الذي ينتظره في رِحَاب ذَلِكَ الأَمير ، الذي ذهب إلى طَبَرِيَّة بأمر أبي بَكْر مُحَمَّد بن رائق « ليتولَّى حربَها ، أي قيادة جيشها وحمايتها في سنة 328 ، وكان أبو الحُسَين ، فيما نظُنُّ ، عَرَبِيّاً

مَاضِياً كالسَّيف , حلْوَ الشَّمائل سمْحاً , قَريبَ المذْهبِ منْ أبي الطَّيِّب في بَغضاء العجم ؛ لمَا أَنْزَلُوهُ بالدَّولَة من التَّفْرقَة والتَّمْزيق ، وعرَفَ أبو الطيب بعض أخباره ؛ فقصَدَهُ فَرِحاً , كأنما وَجَدَ فيه ما أَراد منَ الفكْرَة والسَّطوة والسلْطان والقُوَّة ، والرجولة الفذَّة التي أبدع أبو الطَّيِّب في صفتها بعدُ حين أُعْجِبَ بها وفُتنَ » (133) .

وتَدُلُّ أَوَّلُ قصيدة مَدَحَهُ بها على مَا تَوَقَّعه – على يديه – من الفرَح والنَّشْوَة ، يقول :

أَحُلْمًا نَــرَى أَمْ زَمَانًا جَــدِيدَا   أَمِ الخَلْــقُ فِي شَخْصِ حَيٍّ أُعِيدَا
تَــجَلَّــى لَــنَا فَــأَضَأْنَــا بِه   كَأَنَّــا نُــجُــومٌ لَقِينَــا سُعُــودَا (134)

ولَقِيَ عنْدَهُ – بالفعل – جُزْءاً ممَّا أراد ، ولا شَكَّ في أَنَّ أَحْلامَهُ الأُولى بَدَأَتْ تُلحُّ عليه مرةً أخرى ؛ فقد أَحْسَنَ بَدْرُ إقامته ، وأَحَبَّهُ ، وأَكْرَمَهُ ، والأخبارُ في هذا الشأن كثيرة , وبَدَأَ نَجْمُ المُتَنبِّي يَسْطَعُ في هذه الفترة ، وعُرِفَ على نطَاقٍ أوسع , وكان – كعَادَته دوماً – معتزًّا بنفسه طَمُوحاً ؛ فلا عَجَبٌ في أَنْ يَكْثُرَ أعداؤه ، وينتشر حُسَّاده .

ومنْ أشهر حُسَّاده ابن كروس ، وكان هذا الرجل أعور ، ويظنُّ مَحْمُود مُحَمَّد شاكر أَنَّهُ منْ صنَائعِ العلويينَ أو الفاطميينَ ، وقد هجاه المُتَنبِّي في قوله :

أَرَى المُتَشَاعِرِينَ غَــرُوا بِذَمِّي   وَمَنْ ذَا يَحْمَــدُ الدَّاءَ العُــضَــالا
وَمَــنْ يَــكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَــرِيضٍ   يَجِــدْ مُــرًّا بِهِ المَــاءَ الــزُّلالا (135)

ليس غريباً أَنْ يَسمَعَ بَدْرُ بن عَمَّار لهذه الوشايات الكثيرة , ويُبْدِي نُفُوراً من المُتَنبِّي , ولا عَجَبٌ في أن يُؤْثِرَ المُتَنبِّي الرحيل أو الفرار – الذي يألفه – على هذه الحياة البغيضة مع هؤلاء المتشاعرينَ الأدعياء ، يقول :

أَنْكَرْتُ طَارِقَــةَ الحَــوَادِثِ مَرَّةً   ثُمَّ اعْتَــرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دِيدَنَا
وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الفَلا وَرَكَائِبِي   فِيهَا وَوَقْــتَيَّ الضُّحَى وَالمَوهِنَا (136)

وقد ظَلَّ هؤلاء الواشونَ يُوغرُونَ صَدْرَ الأَمير ، وكَادُوا « لهَذَا الشاعر الطارئ الذي صَرَفَ عنهم الأَمير شيئًا , وهُمْ حِرَاصٌ عَلَى أَنْ يَخْلُو لَهُم وَجْهه , ليس منْ شَكٍّ فِي أن شيئًا منْ هَذَا قَدْ هَاجَ حَسَدَ الحُسَّاد على

المُتنبي . وقد نستطيع أن نُضيفَ إلى هذا ما يلائم طبيعة البيئة العِراقيَّة التي انتقلت مع بَدْر إلى طَبَرِيَّة ؛ قد كانت هذه البيئة ماكرة في الكيد حقًّا ... وأيسر نظرة وأعجلها في حياة القصر البغداديّ , تُقنعنا بأنَّ الكيد كان قِوَام الحياة ... فليس غريبًا – إذَنْ – أَنْ يَشْقَى المُتنبِّي بهؤلاء الكائدينَ , وألا يَطُول ابتهاجه بالإقامة عند هذا الأمير الذي كان يُقدِّرُ أنه سيلقى عنده الأمن والهدوء وتحقيق الآمال » [137] .

وبذلك عاد المُتنبِّي إلى سابق عَهْدِه من الحُزْن والانكسار الداخليّ , وآثَر الرحيل حفاظًا على كبريائه وحياته ، ولا فرق بينهما عنده ، يقول :

لا افْتخَارٌ إلاَّ لمَــنْ لا يُضَــامُ ... مُدْرِك أَو مُحَــارِبٍ لا يَــنَامُ
مَنْ يَهنْ يسهُــلِ الهَــوَانُ عَلَيه ... مَا لجُــرْحٍ بمَــيِّــتٍ إِيــلامُ
ضَاقَ ذَرْعًا بأَنْ أَضِيــقَ به ذَرْ ... عًا زَمَاني واستَكْرمَتني الكِرَامُ
وَاقِفًا تَحْتَ أَخْمَصَي قَدْرِ نَفْسِي ... وَاقِفَــا تَحْــتَ أَخْمَصَيَّ الأَنَامُ
[138]

يَمْضِي المُتنبِّي – بعد ذلك – في البلاد مادحًا الأمراء بفؤاد كليم ؛ حَتَّى جاءه خبر موت جدَّته العَجُوز ، وعندما جاءه الخبر استولت عليه الدهشة ، وأَحَسَّ بأنه بَاتَ صَديقًا للحُزْن ، وأراد أَنْ يُؤَكِّدَ لجدَّته المُتوفَّاة أنه مَا زَالَ عَلَى العَهْد الذي جَمَعَ بينهما ، نرى ذلك في قصيدته التي رثَاهَا بها :

لَئِنْ لَذَّ يَــومُ الشَّامتِيــنَ بموتهَــا ... لَقَدْ ولَــدتْ مِــنِّي لآنَافِهِمْ رَغْــمَا
تَغَرَّبَ لا مُسْتَعْظِمًــا غيــرَ نفسه ... ولا قَــابِــلاً إلاَّ لخَالقِــه حُكْمَــا
وَلا سَالِكًــا إلاَّ فُــؤَادَ عَــجَاجَــةٍ ... ولا وَاجِدًا إلاَّ لِمَكْــرُمَــةٍ طَــعمًا
يَقُولُونَ لِي : مَا أَنْتَ ؟ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ
وَمَا تَبْتَغِي؟ مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى [139]

تؤكد هذه الأبيات يأس المُتنبِّي ؛ فهو الآن هذا الفارس الحزين الذي يعرف أنه ميِّت قَبْلَ دُخُوله المَعْرَكة , لَكنَّهُ يدخل بكل شجاعة ، أو قُلْ تهورٌ ، في سبيل هدفه ومبتغاه الذي (جَلَّ أَنْ يُسَمَّى) ، ونستطيع أَنْ نَقُول إنَّ ما يريده المُتنبِّي ويسعى له – في نهاية الأمر – هو قتل الملوك المتخاذلينَ ، والاستيلاء على مُلْكِهِم .

وهو لا يضيع وقته في الرجاء ؛ ويسافر في طلب المال والعلا ؛ حتى لو دفع حياته ثمنا لذلك .

يواصل المُتَنَبِّي رحيله ، لكنه – الآنَ – على حَظٍّ من الشهرة ، ولعلَّ أكبر دليل على هذا ما حدث له في طَرَابُلُس ؛ فهو « حين خَرَجَ مِنَ السجن مَدَحَ إسحاق بن كيغلغ والي حِمْص للإِخْشِيد ، ومُخْرِجهُ من السجن ، بقصيدته الرائية التي يقول فيها :

حَاشَى الرَّقِيبُ فَخَانَتْهُ ضَمَائِرُهُ وَغَيَّضَ الدَّمْعَ فَانْهَلَّتْ بَوَادِرُهُ

لم يستطع أَنْ يُنْشِدَهُ إياها ... لأنَّ الأمير كَرِهَ ذلك ، وتقدم إليه في أن يبرح الأرض ... فقد كان إسحاق بن كيغلغ هذا ما زال على ولايته حين مرَّ المُتَنَبِّي بطَرَابُلُس , كان قد انتقل إليها من حِمْص ليبعد مستقره بعض البُعْد عن الحُدُود بين الإخشيديين والحَمْدَانيين . فَلَمَّا انتهى المُتَنَبِّي إلى طَرَابُلُس وعرف مكانه , رَغِبَ في أن يَمْدَحه كَمَا مَدَح غيره من عُمَّال الإخشيديين وقُوَّادهم وأمرائهم . ونَظَرَ المُتَنَبِّي فإذا هذا الأمير الذي كان يَرْغَبُ عن شعره منذ اثنتي عشرة سنة يرغب في شعره الآن . فلا تَسَلْ عن كبرياء الشاعر , وما امتلأت نفسه به من الزَّهْو والغُرُور , وإذا هو يتمنع على الأمير ويأبى أن يجيبه إلى المَدْح الذي رَغِبَ فيه . ويحتال الأمير في ذلك فلا يُوَفَّق , وتَشُقُّ عليه هذه الإهانة ؛ فيُمْسك الشاعر في طَرَابُلُس لا يلقيه في السجن ، ولا يُخَلِّي بينه وبين السفر ، وإنما يُمْسِكُهُ سجينا كالطليق , وطليقا كالسجين » [140] .

لقد تَغَيَّرَتْ صُورَةُ المُتَنَبِّي الشاعر الصغير الخامل الذكر ، وصار هو الشاعر الذي يتسابق الأمراء كي يمدحهم .

وبهذه الصورة الجديدة يسير المُتَنَبِّي حَتَّى يَصِلَ إلى أَبِي العَشَائِر ، وهو من أمراء الحَمْدَانيين , وابن عَمّ سيف الدولة الحَمْدَاني ، وقد أقام أبو الطَّيِّب عنده ، وأَحَبَّهُ – على ما يبدو – ومَدَحَهُ بقصائد رائعة , وقَدَّمَهُ أَبُو العشائر إلى سيف الدولة ؛ ليُصْبِحَ المُتَنَبِّي شاعر بلاط سيف الدولة فيما بعد .

لقد كان سيفُ الدولة ذا ثقافة كبيرة ، وصاحب ذوق عربيّ أصيل ، ولقد أحبه المُتَنَبِّي حينما رآه أميراً عربياً كارهاً للعجم وفَسَاد مَذَاهبهم , يَسْعَى

لتَوحيد كَلِمة العَرَب ؛ فكانت أُولَى قصائده التي قالها في حضـــرة سيف الدولة :

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْــجَاهُ طَاسِمُهْ   بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ [141]

وقد أعدَّ هذه القصيدة خصيصاً لهذا المقَام في حَضْرَةِ سَيفِ الدَّولَة ونُخْبَتِه ، يقول :

غَضِبْتُ لَهُ لَمَّــا رَأَيــتُ صِفَاتِــه   بِلا وَاصِف وَالشِّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهْ
وَكُنْــتُ إِذَا يمَّمْــتُ أَرْضَــا بَعِيدَةً   سَرَيتُ فَكُنْــتُ السرَّ وَاللَّيلُ كَاتِمُهْ [142]

وهو في ذلك يَعيبُ على كُلِّ شعراء البلاط ، ويُقَلِّل من قيمتهم بأسلوب عنيف , ويُعَلِّقُ طَه حُسَين على هذين البيتين قائلاً : « أتُرَى إليه وقد أَحَسَّ أن الشعراء سيمكرون به , ويكيدون له حين يضيقون بمقدمه على الأمير ومكانه عنده ؛ فآثر أن يبدأ بالهجوم , وبالهجوم الصريح الذي لا كَيدَ فيه ولا التواء » [143] .

فما كان منَ الشعراء في حَلَب إلا أَنْ كادوا له ، وتناولوا شعره بالنقد في مجالسِ سيف الدولة الأدبية , وقد فَشِلُوا – أول الأمر – بسبب حُبِّ سيف الدولة للمُتَنَبِّي ، أو حُبِّ مصلحته عنده .

الأمرُ – إذَن – عنْدَ سَيفِ الدَّولة – الذي أراه أكثر غُرُوراً من أبي الطَّيِّب نفسه – أمرٌ نفعيٌّ , وإنْ كَسَاهُ بعضَ المودَّة .

وقد حُكِي أَنَّ أبَا فِرَاسٍ قَالَ لِسَيفِ الدَّولَةِ : « إنَّ هَذَا المُتَشَدِّق كَثِيرُ الإدلال عليك , وأنت تعطيه كُلَّ سنةَ ثلاثةَ آلاف دينار عن ثلاث قصائد , ويُمْكِنُ أَنْ تُفَرِّق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خيرٌ من شعره » [144] ، وتَرَكَ هَذَا الكلام بَالِغُ الأَثَرِ في سيف الدولة , وكان المُتَنَبِّي غائباً وبَلَغَتْهُ القصَّةُ فدخل على سيف الدولة وأنشد :

أَلا مَا لِسَيــفِ الدَّولَةِ اليومَ عَاتِبَا   فَدَاهُ الوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبَا [145]

حَتَّى إِذَا انْتَهَى أَطْرَقَ سَيفُ الدولة ولم يَنْظُرْ إليه ؛ فخرج المُتَنَبِّي حزيناً , وحضرَ أبو فِرَاس وجماعةٌ من الشعراء ؛ فبالغوا في الوقيعة في حَقِّ المُتَنَبِّي [146] .

تدلُّ الرواية السابقة على الحَسَد الذي مُنِيَ به أبو الطيب ، وفي مثل هذه الأجواء لا يمكن أن يَظَلَّ شعْره كما كان ، لا بُدَّ من أن تَظْهَر فيه بعضُ ما تُعَانِي منه نفسيَّته النرجسيَّة ؛ لهذا زَادَتْ صَيحاته النرجسيَّة , ومن

شعره في هذا الأوان ، وقد اشتدت ثقته بنفسه وبشعره ، قوله :

أَتَيتُ بِمَنْطِقِ العَرَبِ الأَصِيلِ وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِيلِي
فَعَارِضُهُ كَلامٌ كَانَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النِّسَاءِ مِنَ البُعُولِ
وَلَيسَ يَصِحُّ فِي الأَفْهَامِ شَيءٌ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ (147)

وقوله :

وَعِنْدِي لَكَ الشُّرْدُ السَّائِرَا تُ لا يَخْتَصِصْنَ مِنَ الأَرْضِ دَارَا
قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ فِي مقْوَلِي وَثَبْنَ الجِبَالَ ، وَخُضْنَ البِحَارَا
وَلِي فِيكَ مَا لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيثُ سَارَا (148)

ولا شَكَّ في أَنَّ المُتَنبِّي قد طَرَأَ عليه تغيرٌ جعله يظهر بهذا الثوب الجديد ، الذي يختلف – فيما أرى – عنه قديماً ؛ ففرقٌ كبير بين المُتَنبِّي مُتَجَاهِلاً , وبينه مضطهداً مُحَاطًا بالحُسَّاد .

لقد سَطَعَ نَجْمُ المُتَنبِّي عند سيف الدولة الحَمْدانيّ , وصبْغة هذه المرحلة هي الاضطهاد والحسد للمتنبي منْ مُعاصريه ، والشعراء المنافسين له ؛ لذا ظَهرتْ في شعره معاني العَظَمة التي اكتسبها في هذا الطور ، وهو جدير بها ، وهي جديرةٌ به ، ولا شك .

المبحث الثاني : أعراض نرجسية المتنبي:

أ) المكابرة بالذات :

أول ما يلفت النظر في أخلاق المتنبي الإحساس الحادّ بالعظمة ، والولع الشديد بالتباهي ؛ مما جعل منه نموذجاً فريداً بين الشعراء يلتقي فيه الطموح والكبرياء ، والأنفة والإباء ، والجرأة والإقدام ، وتعشق المجد .

إنه يتعاظم على غيره ، ويعجب بما عنده من مواهب ، لقد انشغل « بالتعبير عن شعوره بالعظمة ، ذلك الشعور الذي استحوذ على مجامع قلبه ؛ فكل قصائده تفخيم لشعائر المجد ، وفخر بالهمة التي تدفعه إلى تسنمه » (149) ؛ حتى ليمكن القول إن شعره كله في الفخر ؛ لأنه يرى نفسه محور الكون ، و(الذهب المعروف مخبره) (150) .

ويقترح **كيرنبرج** أن عظمة الذات (Grandiose Self) قد تكونت من مزيج ، أو خليط ، جوانب الإعجاب لدى الفرد المتخيلة من ذاته ، التي قاومت الإحباط ، ودافعت أمام الغيظ والحسد (151) .

لقد ولد إعجاب المتنبي بنفسه وشعوره بالحسد ممن حوله لديه الشعور بالعظمة والكبرياء ؛ فظهرت المكابرة بالذات بوصفها مظهراً من أعراض نرجسيته .

ودفعه اعتزازه بنفسه إلى « تعاظم مزعج ، وكان إذا أهين في كبريائه صعب عليه كبح الجماح » (152) ، ويحكي شعره نوازع نفسه المتطلعة إلى المجد والعلا ، وكان دأبه – دائماً – تعظيم قدر نفسه ؛ لتبوئه منزلة فوق الوصف والإطراء ؛ فإن :

من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع (153)

وقصة قتله برهان آخر على اعتزازه الشديد بالذات ؛ فقد حذره أبو نصر الجيلي ، وأشار عليه أن يستصحب خفراء ؛ فأبى قائلاً : (إنه لا يرضى أن يتحدث عنه الناس بأنه سار في خفارة أحد غير سيفه) ؛ فاقترح أبو نصر ؛ مداراة لحساسيته ، أن يكون معه رجال يمشون بين يديه إلى بغداد ؛ فأجابه بأنفة : (أمن عبيد العصا تخاف علي ، والله لو أن مخصرتي هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد متعطشون لخمس ، وقد نظروا إلى

الماء كبطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده ، مَعَاذَ الله أَنْ أَشْغَلَ فِكْرِي بِهِمْ لحظة عين) (154) .

لقد خرج عليه جماعةٌ منَ البدو فقتلوه عند دير العَاقُول ، وقَتَلُوا معه ابنه مُحَسَّدًا ، وغُلامه مفلحًا ، وانتهبوا ما كَانَ مَعَهُ مِنْ أموال ونفائس ، وذلك في أواخر شهر رمضان سنة 354هـ (155) .

يَشْعُرُ المُتَنَبِّي شُعُورَ العُظَمَاء ، « ويقيس الأمور بمقاييسهم ، ويُلْزِمُ نَفْسَهُ الجدَّ الذي يلتزمونه في حركاتهم وسكناتهم ، وتُسَاوِرُهُ المطامعُ التي تُسَاوِرُهُمْ » (156) .

وقد بَيَّنَ **كوت** أن من الخصائص البارزة للنرجسيَّة ميل النرجسي أن يكون له خطٌّ ثابت من الشعور بالعظمة (157) .

قد كان المُتَنَبِّي متطلعًا إلى المجد والعُلا ، مفتونًا بنفسه ، وقد عَبَّر عن ذلك في قوله :

إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعُجْــبُ عَــجِيبٍ لَمْ يَجِدْ فَــوقَ نَفْسِهِ مِــنْ مَــزِيدِ (158)

فَإِنَّ العجائب تقصده لتعجب مِنْ صَبْرِه على المصائب ، يقول :

إِلَيَّ لَعَمْرِي قَصْــدُ كُلِّ عَجِيبَةٍ كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ العَجَائِبِ (159)

يقول مُبْدِيًا إعجابه بنفسه ، واحتقاره لسواه :

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِــصٍ فَهِيَ الشَّهَــادَةُ لِي بِأَنِّيَ كَامِلُ (160)

فإذا أتت المَذَمَّةُ والإساءة من ناقص عقل ؛ فهي دليل على الكمال .

وقد جعل نَفْسَهُ نجمًا عاليًا في السماء ، يهتدي به أصحابه :

وَإِنِّي لَنَجْــمٌ تَهْتَــدِي بِي صُحْبَتِي إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَــابُ (161)

إِنَّهُ يُعَدُّ الأسبق في تاريخ الشعر العربيِّ الذي مَجَّدَ نفسه بهذه الطريقة في شعره .

المتنبي يُبَارِزُ الزَّمَان ، وينتصر عليه بحُسَامِه ، ويُمْسِكُ زِمَامَ اللَّيَالي ، يقول :

وَلَو بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْــصًا لَخَضَّبَ شَعْــرَ مَفْــرِقِه حُسَامِــي
وَمَا بَلَغَتْ مَشِيَّتَهَا اللَّيَــــالِي وَلا سَــارَتْ وَفِي يَــدِهَا زِمَــامِي(162)

ويصف نفسه بالشجاعة ، وأنه لا يفزع من شيء ، يقول :

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الهَــلاكُ أَتَيتُهَا ثَبْــتَ الجَنَــانِ كَــأَنَّنِي لَمْ آتِهَا [163]

فهو قَوِيٌّ لا يَهَابُ الدهر ، يقول :

إِنْ تَرْمِنِى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَثَبٍ تَرْمِ امْرَأً غَيرَ رِعْدِيدٍ وَلا نَكِسِ [164]

إنه أشدُّ إقداماً من مَلَك الموت ، يقول :

مَا تُرِيدُ النَّــوَى مِــنَ الحَيَّــةِ الذَّوَّا قِ حَــرَّ الفَــلا وَبَــرْدَ الظِّــلالِ

فَهْوَ أَمْضَى فِـي الرَّوعِ مِنْ مَلَكِ المَو تِ ، وَأَسْرَى فِي ظُلْمَةٍ مِــنْ خَيَالِ[165]

المتنبي لا يعبأ بالموت من أجل تحصيل شَهْوَة المجد ، يقول :

أَمِثْلِي تَأْخُــذُ النَّــكَبَــاتُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ مِنْ مُلاقَاةِ الحِمَــامِ [166]

ويقول :

فَــلا قَــضَى حَــاجَتَــهُ طَــالِبٌ فُــؤَادُهُ يَخْــفِــقُ مِنْ رُعْــبِه [167]

فَإِنَّ (حُبَّ الشُّجَاعِ النَّفْــسَ أَورَدَهُ الحَرْبَا) [168] ، حَتَّى صَارَتْ تَهَابُهُ الأَبْطَالُ ، و(تَتَّقِي حَدَّ سَيفِهِ البُهَمُ) [169] ، وهو يُقْدِمُ على المهالك إِقْدَامَ السيل الذي لا يُرَدّ ؛ حتى كأن له نَفْساً أخرى ، أو كأنه يُرِيدُ إِهْلاكَ نَفْسِه ، يقول :

وَأَقْدَمْــتُ إِقْــدَامَ الأَتِــيِّ كَأَنَّ لِي سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَها وِتْرُ [170]

ويصف صَبْرَهُ وقدرته على احتمال النوائب ؛ فيقول :

قَدْ هَوَّنَ الصَّبْــرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَيَّنَ العَــزْمُ حَدَّ المَرْكَبِ الخَشِنِ [171]

إِنَّهُ يَتَلَقَّى صُرُوفَ الدَّهْرِ بنفسٍ صَابِرَة ، أَثَارَتْ تَعَجُّبَ الدَّهْــرُ ، يقول :

وَإِنَّا لَنَلْقَى الحَــادِثَــاتِ بِــأَنْفُــسٍ كَثِيــرُ الــرَّزَايَا عِــنْــدَهُنَّ قَلِيلُ [172]

ويقول :

الدَّهْرُ يَعْجَبُ مِــنْ حَمْــلِي نَوَائِبَهُ وَصَبْــرِ جِسْمِي عَلَى أَحْدَاثِهِ الحُطُمِ [173]

وتعرفه نُيُوبُ الزَّمَانِ مِنْ طُولِ صُحْبَتِهَا له [174] ، وهو يَعْرِفُ (نَوَائِبَ الحَدَثَانِ حَتَّى لَوِ انْتَسَبَتْ لَكَانَ لَهَا نَقِيبَا) [175] ، وقد أفنى صُرُوفَ الدَّهْرِ عَزْمًا ، ولم يستطع الدهر أن يُفْنِيَ صَبْرَهُ [176] .

إنه يشعر في نفسه بالعظمة ؛ لذا لم يَضْعُفْ أَمَامَ قُوَّة الملوك الذين غضب عليهم وهجاهم ؛ لأنه يرى أَنَّ لديه قُوَّة تُكَافِئُ – في نظره – قُوَّة

الجيوش ، تجعله يسطو على المُعْتَدِين غير مهتم بشخوصهم ومكانتهم السلطوية .

تناول **رانك** مفهوم النرجسيَّة في وصفه للإعجاب بالذات وتعظيمها لدى المريض النرجسيّ (177) .

تَظْهَر النرجسية فِي إِعْجَابِ المُتَنبِّي الزَّائِد بِذَاتِهِ بِوَصْفِهِ مَظْهَراً من أعراض النرجسيَّة .

ب) الأَنَا المُتَعَالِيَة :

من المُلاَحَظ الحُضُور الطاغي لأنا المُتَنَبِّي ، تلك الأنا التي تُوحِي بِغَطْرَسَتِه وعُنْجُهِيَّتِه ، وتُعْلِن تحديه ومُبَارَزَتِه للآخر ، وما أصدق قول **ريجيس بلاشير**(Régis Blachére) في المُتَنَبِّي : « إِنَّ مِثْلَ هَذَا الرَّجُل يُثِيرُ فِي النَّاسِ حَتْمًا ، في آنٍ وَاحِد ، إِخْلاصًا عَمِيقًا ، وإعجابًا حارًّا ، وكذلك ضَغَائِن شَدِيدة » (178) .

وليس بخاف أن النرجسيَّة الباثولوجيَّة (Pathological) Narcissism تشير إِلى تضخيم الفرد لأناه (179).

والحضور الطاغي لأناه المُتَضَخِّمَة يشير إلى نرجسيته الباثولوجيَّة .

إِنَّ إِحْسَاسَهُ بِوَضَاعة نَسَبه دَفَعَهُ للجوء إلى الأنا المتعالية ؛ لتعويض هذا النقص الذي يَشْعُرُ به في أَعماقه ؛ فَرَأَى نَفْسَهُ أَفْضل الناس قاطبةً وأربحهم متجراً ، يقول :

أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلاً وَأَسَــرُّ رَاحِلَــةً ، وَأَرْبَحُ مَتْجَرَا (180)

لقد استخدم ضمير(أنا) الدال على الشعور بالكبرياء ، أي أنا وَحْدِي لا غيري . وقد جَعَلَ نَفْسَهُ فَوقَ ما على الأرض ، وأفضل ما في السماء حين قال :

أَنَا صَخْرَةُ الوَادِي إِذَا مَا زُوحِمَتْ وَإِذَا نَطَقْــتُ فَإِنَّــنِي الجَوْزَاءُ (181)

وقال في صباه وقد بُلِّغَ عن قوم كلاماً :

أَنَا عَيْنُ المُسَوَّد الجَحْجَاحِ هَيَّجَتْــنِي كلابُــكُــمْ بِالنُّــبَاحِ (182)

لقد صَدَقَ أَبُو القَاسِمِ المُظَفَّر بْن عَلِيّ الطَّبَسِيّ في وصــف المُتَنَبِّي عندما قــال في رثائه :

كَانَ مِنْ نَفْسه الكَبيرَةِ في جَـيـ ـشٍ ، وَفي كِبْـرِيَاءِ ذي سُلْطَـانِ [183]

ومَنْ يَذْكُره بالسوء يُعظِّمُه عندما يَرَاهُ ؛ فلا يَجِدُ أبو الطَّيِّب مناصاً من الإعراض عنه احتقاراً له :

أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بالسُّوءِ يَذْكُـرُنِي ولا أُعَاتِبُهُ صَفْحًـا وإِهْـوَانَا [184]

لقد سيطَرَتْ الكبرياءُ على نفس المُتنبي ؛ فقد كَانَ « تيَّاهًا يَتَسَامَى بِنَفْسِه على كُلِّ مَمْدُوح ، ويَتَعَالى عَلَى كُلِّ أهل عصره » [185] .

لقد وَصَفَ **فرويد** المُثُل العُلْيَا للذات بالأنا الأعلى ، وهو تركيب مُعَقَّد حقيقة ، ويتضمن الموضوع المثالي للذات [186] ، وأَوضَحَ – من خلال الملاحظات الإكلينيكية – أن اللبيدو عند هؤلاء الذهانيين (الأعصبة النرجسيَّة) لا بُدَّ من أن تكون قد انسحبت من الموضوعات وتحولت إلى لبيدو أنويَّة ، وإننا لا نقدر على التأثير فيهم ؛ فَإِنَّ الرجوع إلى ما وراء الشعور والإمساك بالمقاومة يسعى بالإنسان للنرجسيَّة ؛ حَيثُ لا يرى غير صورة وجهه فيعشق ذاته [187] ، وما ذاك إلا لأنَّ النرجسيَّة لا ترضى بأن توظف لبيدو الأنا الناشئ في موضوع خارجها ؛ فموضوع الحب ليس هو الآخر الذي يتجاوب معه ، إنما هو موجود لإشباع الذات [188] .

وهذا ما اتضح في أنا المتنبي المتعالية ؛ فهو بغطرسته لم يرَ سوى نفسه وعشقه لذاته ؛ فانسحب اللبيدو من الموضوعات ، وتَحَوَّلَ إلى لبيدو أنوي .

ج) الكِبْرِيَاءُ :

إِنَّهُ يُرِيدُ التبجيلَ والتكريمَ لا العطاء فقط ، مهما كان هذا العطاءُ كبيراً ، يقول :

وَإِنْ بَـذَلَ الإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِـسٍ جَزَيْتُ بِجُودِ البَاذِلِ المُـتَـبَسِّمِ [189]

وهو شديد الكبرياء مزهوٌّ بنفسه ، « يترفع عن مَدْح الوزراء والكُتَّاب ، ولا يريد إلا أن يَمْدَح الملوك والأمراء الممتازينَ الذين لا يقلونَ امتيازاً عن سيف الدولة وكافور »[190] ؛ لذا رَفَضَ مدح الوزير المُهَلَّبِيّ (ت352هـ) ، والصَّاحِب بْن عَبَّاد (ت384هـ) ، وانطلق لسانه بالهجاء اللاذع لحاسديه .

ويشير الطب النفسي إلى أن المعنى المُتَعَاظِم لأهمية الذات من سمات الشخصيَّة النرجسيَّة ؛ مثل : المبالغة في الإنجازات أو المواهب ، والانشغال بأخيلة النجاح غير المحدود ، والقُوَّة [191] .

المتنبي مزهو بنفسه وإنجازاته ومواهبه ؛ حتى إنه يترفع عن مدح الوزراء والكتاب ، ولا يريد سوى مدح الأمراء والملوك فقط .

وهو يَرْفُضُ الذُّلَّ بكُلِّ صوره ؛ ولا يتقبل الإهانة ؛ فَإِنَّهُ ليس في الحياة التي يريدها إلا العِزّ والمَجْد والسُّؤْدد ؛ وهو يُقَيِّدُ اللذَّة والسرور بالكرامة ، يقول :

وَلا أُقِــيمُ عَــلَى مَــالٍ أُذَلُّ بِــهِ   وَلا أَلَــذُّ بِــمَا عِــرْضِي بِهُ دَرِنُ [192]

لأَنَّ الحُرَّ يَرَى الموتَ أَهْوَنُ عليه من الهَوَان ، يقول :

غَيــرَ أَنَّ الفَــتَى يُــلاقِي المَنَايَــا   كَالحَات وَلا يُلاقِــي الهَــوَانَــا [193]

فَإِنَّ الموتَ خَيرٌ مِنْ حَيَاة (يَذِلُّ الذي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ) [194] ؛ فَإِنَّ الحياةَ في الذل لا يطلبها عاقل ، يقول :

ذَلَّ مَنْ يَغْبطُ الذَّليلَ بعَــيشٍ   رُبَّ عَيشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ [195]

وممَّا يُحْزِنُه حقًّا أَنْ تُمْتَهَنَ كرامته ، يقول :

غَثَاثَةُ عَيشِي أَنْ تَغَثَّ كَرَامَتِي   وَلَيس بِغَــثٍّ أَنْ تَغِثَّ المَآكِلُ [196]

وعند رؤية الذل يَطِيبُ طعم الموت ، يقول :

وَعِنْدَهَــا لَــذَّ طَعْمَ الموتِ شَارِبُهُ   إِنَّ المَنِيَّــةَ عِنْدَ الذُّلِّ قِنْــدِيــدُ [197]

وهو لا يُقِيم بمنزلٍ إذا لم يَلْقَ فيه التبجيل والإكرام :

وَمَا مَنْــزِلُ اللَّذَّاتِ عِــنْدِي بِمَنْزِلٍ   إِذَا لَمْ أُبَجَّــلْ عِــنْدَهُ وَأُكَــرَّم [198]

وهو يَرْفُضُ أَنْ تَصْحَبَهُ (مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا) [199] ؛ لأَنَّ الصَّبْرَ على الأذى ، وإبصار مَنْ يفعله يُضْنِي الجِسْمَ ويهزله ، يقول :

وَاحْتِمَالُ الأَذَى وَرُؤْيَةُ جَانِيــ   ــهِ غِذَاءٌ تَضْــوَى به الأَجْسَامُ [200]

فَإِنَّ (مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيه) [201] ؛ لذا لا بُدَّ من أَنْ يُرْزَقَ الجُودُ (خَلاصاً مِنَ الأَذَى) [202] ؛ ليعيش الإنسانُ حياةً كريمة :

عِشْ عَزِيزاً أَو مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ   بَينَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُــودِ [203]

وَاطْلُبِ العِزَّ ولو في لظى ، ولا تَطْلُبِ الذُّلَّ ولو في جِنَانِ الخُلُود [204] .

د) الإِعْلانُ الدَّائمُ عَن الذَّات :

يُرِيدُ صاحِبُ الشَخصيَّةَ النرجسيَّة – دائمًا – الاستعراض أمام الناس ؛ لكي يُوَضِّحَ لهم مَدَى سُمُوِّهِ عنهم (205) ؛ فهو يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَوضعَ الأَنْظَار ؛ فنرى المُتَنبِّي يَنْظِمُ شَوَارِدَ الأبيات في ثِقَة واقتدار ؛ ويَنَامُ مِلْءَ جُفُونِه ، ويَسْهَرُ الخَلْقُ جميعهم بسببها ، يحاولون حِفْظَهَا وتعلُّمها ، ويختصمون في تَعَرُّفها وتَفَهُّمها (206) ، وما ذاك إلا لأنه يُحبُّ نفسه ؛ « لأنَّه يَحْصُلُ على لَذَّة من ذَاتِه ؛ ولأنَّه قَوِيٌّ كُلّ القُوَّة وفَرِيد » (207) .

ويشير الطب النفسي إلى أن الاستعراض وحب الظهور وطلب الفرد الانتباه والالتفات إليه والإعجاب به بصفة مستمرة من الآخرين من سمات الشخصيَّة النرجسيَّة (208) .

يميل المُتَنبِّي– دائمًا – إلى جذب انتباه الآخرين ؛ فيزهو بنفسه وشعره ، ويستعرض مهارته ومواهبه في مدح الملوك ؛ حتى يلفت الأنظار .

ولا تَهْدَأُ نَفْسُهُ إلا بسماع هُتَاف الاستحسان يغمره من الآخرين ، وهو لا يكتفي بذلك ، بل يقوم هو أيضًا بالثناء على نفسه ؛ بغية أَنْ يتردَّد اسمُه على كُلِّ لسان ، ويُصبِحُ حَدِيثَ الناسِ ، ويسعى لجذب انتباه الفقهاء والمتكلمين من أصحاب سيف الدولة ، وإبهارهم ؛ فَإِنَّ نَظْرَةَ الآخرين له وصورته في أعينهم تَشْغَلُ ذهْنَهُ ليلَ نَهَارَ ، ويُرِيدُ أَنْ يَظْهَرَ في أَعْيُنِ النَّاسِ كأنه أعجوبةُ الزمانِ ذكاءً ونُبْلاً وفَضْلاً وعَقْلاً وعِلْمًا وقَدْرًا ، وهو – على حد تعبير طَه حُسَين – لا يَنْسَى نَفْسَهُ لحظة ، ولا بعض لحظة ، وإنما يذكرها دائمًا (209) .

لقد طَبَّقَ شِعْرُهُ الآفاقَ ؛ فقد جاء فَمَلأَ الدنيا ، وشَغَلَ الناس – كما يقول ابن رَشِيق القَيروانيّ (ت456هـ) (210) – ، وأنساهم أشعار الأواخر والأوائل .

وقد كَثُرَ الخِلافُ حول المُتَنبِّي ، بين مُؤيِّدٍ مُدَافِع ، ومُؤَخِّر مُنَاهض ، « منْ مُطْنِب في تَقْرِيظه ، مُنْقَطِعٍ إليه بجُملته ... يُشِيعُ محاسنه إذا حَكَيَتْ بالتفخيم ، ويُعْجب ويُعيد ويُكَرِّر ... وعائب يروم إزالَته عن رُتْبَته ، فلم يُسَلِّم له فضله ، ويحاول حَطَّه عن مَنْزِلَةٍ بوَّأَهُ إياها أدبُه ؛ فهو يجتهدُ في

إخفاء فضائله ، وإظهار معايبه ، وتتبع سقطاته ، وإذاعة غفلاته »[211] .

وقد ذَاعَ شِعْرُهُ ، وسارَتْ به الرُّكْبَان مَشْرِقًا ومَغْرِبًا :

فَشَــرَّقَ حَــتَّى لَيسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ   وَغَرَّبَ حَتَّى لَيسَ لِلغَرْبِ مَغْرِبُ [212]

وقد اعتنى عُلَمَاءُ اللُّغَة بديوان المُتَنبِّي فشرحوه ، واهتموا بنقد شعره أيضًا ، « ولم يحظَ ديوانٌ من دواوين الشعر القديم بمثل ما حَظِيَ به ديوانه من حيث الاهتمام بشرحه والعناية بتفسيره ، وقد تجاوزت شُرُوحه الأربعين شرحًا »[213] .

لقد حَظِيَ المُتَنبِّي بما أراد ؛ فقد « رُزِقَ مِنَ الشُّهْرَة واشتغال الناس بأمره حظًّا لم يُرْزَقْهُ أَحَدٌ قبله ولا بعده من شعراء العرب ، رُزِقَهُ في حياته وبعد مماته ؛ فَأَمَّا في حياته فقد سار شعره كُلَّ مسير ، ورُوِيَتْ قصائده في كل أرض فيها لافظٌ بالعربية ، واشتدَّ التعصُّب له والتعصُّب عليه بين المتأدبين وغيرهم ؛ حَتَّى بلغ الأمر بالفريقين حَدَّ الهَوَس والجُنُون » [214] .

ولا شكَّ في أَنَّ العَظَمَةَ سَبَبٌ من أسباب شهرة المُتَنبِّي [215] ، إضافةً إلى الحُسَّاد ، الذين أرادوا إخماد ذكْره ؛ فزادوه شهرةً ، وأبرزوا فضائله .

وغير خافٍ أن الاحتفاء بالمُتَنبِّي ؛ ممَّا يزيدُ عدد حُسَّاده والمُتَتَبِّعين لشعره ؛ فلَمَّا احتفلَ به الأمراء والرؤساء ، اهتم الناس بأمره ؛ حتى أصبح شُغْلَهُم الشاغل ، وجميع ذلك مُنْتَهٍ إلى نهاية واحدة ، هي نَبَاهَة الشأن [216] .

لقد أَدْرَكَ الشَّاعِرُ الكبيرُ ، في الأدب ، المجد الذي فاته في السياسة ؛ فإنه يَتَوَخَّى أن يَتْرُكَ في الدُّنْيَا جلبةً وصياحًا عظيمًا [217] ، ودويًّا هائلاً ؛ فيُثِير حَوْلَه الجدَال حيثُمَا ظَهَرَ ، ويستمر ذلك النِّقَاش حتى بعد وفاته .

وقد أَثَارَ المُتَنبِّي إعْجَاب الناس ، ونَجَحَ في جَذْبِ انتباههم ، وكان حريصًا – أشدَّ الحرص – على ذلك ، فهو يَبْغِي سَمَاع عِبَارات الإعجاب – دائمًا – من الآخرين .

هذا الزَّهْوُ والعُجْب يُفْهَم على أَنَّهُ سُلُوكٌ تَعْوِيضِيّ بصفة دائمة ؛ لأَنَّه يُقَدِّمُ لَهُ إشباعًا بديلاً ؛ لمساندة الذات المُعَرَّضَة للهجوم ، التي تَشْعُر بالدُّونِيَّة

؛ لذا يسعى باستمرار ليكون مركز الاهتمام ؛ بُغْيَةَ إِبْطَال مَشَاعر الدونيَّة التي يُعَانِي منها .

يرى **أدلر** أن مشاعر الدونيَّة وعدم الكفاية هي التي تُحَدِّد هدف الفرد في الوجود ؛ فإن الميل للظهور وجذب الانتباه ، والرغبة في أن يعترف الجميع بوجودنا يسير – جنباً إلى جنب – مع الشعور بالدونيَّة ، والغرض من هذه المؤشرات هو الحصول على حالة يُمْكِنُ فيها للفرد أن يبدو متفوقاً على البيئة المحيطة [218] .

وهذا ما نجده عند المتنبي ؛ فمشاعر الدونيَّة والنقص الموجودة عنده ؛ بسبب نشأته وفقره ونسبه ، جعلته يرغب في أن يعترف الجميع بوجوده ، ومِنْ ثَمَّ ظهرت نرجسيته وتمثلت في حُبّ الظهور وجذب الانتباه .

يرى **فرويد** أن الرغبة في جذب أنظار الناس وإعجابهم يتخطى النرجسيَّة قليلاً إلى هستيريا القائد ، أو إلى النوراستانيا المُزْمِنَة ، أو إلى علائم عظاميَّة مرافقة لشخصيته ، أو ما نُسَمِّيه بالعُصَاب الطَّبَائِعِي (Nevrose de Caractere) [219] .

هـ) اخْتِلافُ شِعْرِ المُتَنَبِّي عَنْ شِعْرِ غَيرِه :

قَصَدَ المُتَنَبِّي أن يختلف شعره عن شعر غيره لشعوره بتفوُّقه ، ومن الوسائل التي استخدمها لتحقيق ذلك : مخاطبة الممدوح من المُلُوك بِمِثْلِ مُخَاطَبَة المَحْبُوب والصَّدِيق ، وهو مَذْهَبٌ في المدح انفرد به « واستكثر من سُلُوكه اقتداراً منه ، وتَبَحُّراً في الألفاظ والمعاني ، ورفعاً لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريجاً لها إلى مُمَاثلة الملوك » [220] .

« لقد أصبحت القصيدة المدحيَّة عند المُتَنَبِّي تصويراً لمآثر الذات بصورة تَعْدِل تصوير مآثر الآخر ، وربَّما بَالَغَ في تضخيم ذاته حَتَّى عَلا ذكرُهُ ذكرَ الممدوح ، وغَلَبَتْ فَضَائِلُهُ صِفَاتَ المُخَاطَب » [221] ، وكان « سَيفُ الدولة يغتاظُ من تَعَاظُمه » [222] .

وليس أَدَلُّ على عظمة الرجل وكبريائه واعتزازه بنفسه وبفنه مِنْ أَنَّهُ « اشترط على سيف الدولة أوَّل اتصاله به أنه إذا أنشده مديحه لا يُنشده إلا وهو قاعد ، وأنه لا يُكَلَّف تقبيلَ الأرض بين يديه » [223] ، ليس ذلك فقط بل

إن اعتزازه بنفسه بلَغ منه مبلغاً جعله « يَقْلب نغمة الشكوى المألوفة في مطالع القصائد إلى نغمة كبرياء ، وهذا دأبه في مطالعه » (224) ، وجعله لا يبدأ قصائده بالنسيب كما جَرَتْ عَادة الشعراء (225) .

قال القَاضِي الجُرْجَانِيّ (ت392هـ) : « وهو أكثر الشعراء استعمالاً لذا التي هي للإشارة ، وهي ضعيفةٌ في صَنْعَة الشعر ، دالةٌ على التَّكَلُّف ، ورُبَّمَا وافقتْ موضعاً يَلِيقُ بها ؛ فاكتست قبولاً » (226) ، وذَكَرَ مَوَاضِع عديدة من شعر المُتَنَبِّي استخدم فيها (ذا) سخافةً وضعفًا ، ثُمَّ قَالَ : « ولو تَصَفَّحْتُ شِعْرَهُ لَوَجَدْتُ فيه أضعافَ ما ذكره منْ هَذه الإِشَارة ، وأنت لا تَجدُ منها في عَدَّة دواوين جاهلية حرفًا ، والمُحْدَثُونَ أَكْثَرُ استعانة بها ، لكن في الفَرْط والنُّدْرَة ، أو على سبيل الغَلَط والفَلْتَة » (227) .

ثم أضاف : « كيف يُحْتَمَلُ لَهُ اللفظُ المُعَقَّد ، والترتيب المتعسَّف لغير معنى بديعٍ يَفِي شرفُه وغرابتُه بالتَّعَبِ في استخراجه ، وتقوم فائدة الانتفاع بإِزَاء التأذِّي باستماعه » (228) .

وثَمَّة دَوَافع متعددة دفعت أبي الطَّيِّب إلى الخروج في بعض شعره إلى الغموض (229) ؛ فكان يَتَوَخَّى – عن قَصْد – أن يُغَمِّضَ بعضَ معانيه ؛ ومن ثَمَّ يُسْتَغْلَق فَهْمَهَا على العامَّة ، ولا يفهمها إلا علماء اللغة .

وقد خرج عن مُعْتَاد القول والمألوف اللغويّ في استخدام الألفاظ ، وبناء العبارات ، وصياغة التراكيب ، ولجأ عن عَمْد – في كثيرٍ من الأحيان – إلى التعقيد اللفظيّ أو المُعَاظَلَة ؛ لِيُحَقِّقَ لِنَفْسه مَزِيداً مِنَ الشُّهْرَة ، وتعمَّد في شعره الإغراب ، الذي يُثِيرُ حَاجَةَ النحويينَ واللغويينَ إلى البحث والاستقصاء ؛ لإرضاء نفسه ، وإشباع نزعته الوثَّابة إلى تَحَدِّي الناس .

وما لجأ إلى التعقيد في شعره إلا بُغْيَةَ جذب الانتباه ، واستفزاز الآخرين ، مِنْ علماء وشعراء وأمراء ؛ فهو يريد أن يُثْبِتَ لهم أنه لا يماثلهم ، بل يفوقهم ويتحداهم ، ويقول الشعر المُعَقَّد الذي يُبهِرَهُمْ ، ويجعلهم يقفون أمامه عاجزين مكتوفي الأيدي لا يستطيعون فَكَّ طَلاسِمَهُ وكَشْفَ شَفَرَاته ؛ مما يزيدُ غيظهم منه وحنقهم عليه وحسدهم له ؛ لأنَّ ذلك يبعث في نفسه شعوراً بالزَّهْو .

وقد صدَمَ الذَّوقَ السَّائدَ في عصره بجرأته في الشعر ، والخُرُوج عن العُرْف اللُّغَوِيّ ، واستخفافه بأُصُول اللِّيَاقة ، وتَرْك العُرْف المُتَّبَع في مُخَاطَبَة المَمْدُوحين ورِثَاء النِّسَاء ، وتَصَرُّفــه باللغة تصرفُّ المَالِك المُسْتَبِد الآمِر[230] .

ممَّا أَدَّى إلى ظُهُور اتجاه جديد في الشَّرْح يُعْنَى بالمُشْكلات في شعر المُتَنبِّي ؛ فقد ألف ابن جِنِّيّ (ت392هــ) كتاب (الفَتْح الوَهْبِيّ عَلَى مُشْكلات المُتَنبِّي) [231] ، وأَلَفَّ ابن وَكِيع التنيسيّ (ت393هــ) كتاب (المُنْصِف في نَقْد الشِّعْرِ وبيَان سَرِقَات المُتَنبِّي ومُشْكِل شِعْره) [232] ، وألَفَّ أبو القَاسِم الأَصْفَهَانِيّ (ت بعد 410هــ) كتاب (الوَاضِح في مُشْكلات شعْرِ المُتَنبِّي) ، وأَلَّفَ ابن سِيدَه (ت458هــ) كتاب (شَرْح مُشْكِل شِعْر المُتَنبِّي) [233] ، ووَضَعَ ابن عبد الملك الشَّنْتَرِينِيّ ، المَعْرُوف بابْن السَّرَّاج ، مُعْجَمًا لمُشْكِل شعر المُتَنبِّي وسرقاته [234] .

لقد أُولِعَ المُتَنبِّي بالتصغير في شعره الهجائيّ ؛ حيث كانت هذه الظاهرة بارزةً في شِعْرِه عَنْ شِعْرِ غيره ، وهذا دليلٌ على شعوره بالاستعلاء والتفوُّق ، فضلاً عن رغبته في تحقير الآخرين ، والاستهانة بهم ، وقد لجأ إليه حين يهجو وهو حانق مغتاظ ، أو في حال الاحتقار والتعالي والاستخفاف ، مثل : (خُوَيدِم ، كُوَيفِير ، شُوَيعِر، أُهَيل ، أُحَيمَق) [235] .

إنه مشغولٌ بأمور الجدِّ والحرب ، التي تَمْلك عليه قُوَّته وهمَّته فيمَا يقول ويفعل ؛ فهي موصولةٌ – أبدًا – بكُلِّ شعره ؛ ولذلك تختلط أوصاف العِشْق والغَزَل عنده بأوصاف الحَرْب والجدّ ، وكَأَنَّ الطَّعْنَ والقُبَل والحَرْب والعِشْق نوعٌ واحدٌ من السُّلُوك ، وقد عَدَّ يُوسُف البَدِيعِيّ (ت1073هــ) هذه الظاهرة من بدائع المُتَنبِّي التي لم يُسْبَق إليها ، وتَفَرَّدَ بها ، وأظهر بها الحِذْق بحُسْن النقل ، وأعرب عن جودة التصرُّف بالكلام [236] ، إنه يُقْحِمُ ألفاظ الغَزَل والحُبّ والنَّسِيب في مَعْرِض الحَرْب والقتَال ؛ فيجعل طَعْنَ الرِّمَاح كالقُبْلَة على وَجْنَة المحبوبة [237] ، ويُشَبِّهُ الحربَ بالمحبوبة العاشقة [238] .

و) الفخر بشعره :

لقد أنشأ المُتَنَبِّي القصائد البديعة التي لم يُسْبَقْ إلى مثْلها ؛ فسَارَ شعْرُهُ مسيرَ الشمس ، وبقِي بقاءَ الدهر ، وقد حقَّقَتْ أبياته الذيوع والانتشار ، وتجاوزَت حدُودَ الزَّمان والمكان ، وقد صدَقَ عندما قال :

وَمَــا الدَّهْــرُ إلا مِنْ رُوَاةِ قَــلائدي إذَا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْــرُ مُنْشدَا
فَسَــارَ بِهِ مَــنْ لا يَسِــيرُ مُشَمِّــراً وَغَنَّى بِهِ مَــنْ لا يُغَنِّي مُغَرِّدَا
(239)

ومَنْ يَطْرُق سَمْعَهُ شعره من الخُصُوم ، يَحْسُده على بديع نظمه وموهبته الفائقة ؛ فهو (الهِزَبْرُ البَاسِلُ) الذي لا تَجْسرُ الفُصَحَاءُ تُنْشدُ أمامه (240) ، ولَم تسمع بسحْره بَابلُ(241) ؛ فقد (أَتَى بمَنْطق العَرَب الأَصيل) (242) ، وَإِنْ قال لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لعَالِمٍ (243) ، وقوافيه تَغيظُ المُلُوك (244) ؛ فهو الطَّائِرُ المَحْكِيُّ وَالآخَرُ الصَّدَى الذي يُرَدِّدُ مدائحه (245) ، وهو الثُّرَيَّا وغيره الشَّيب والهَرَم(246) ، وشعر معارضيه بمنزلة النساء ، وشعره بمنزلة البُعُول (247) ، ومنه القصائد ومنهم الدَّعْوَى (248) ، وشعره الحكْمَة الصائبة ، وشعر غيره (الهُرَاء) (249) ، و(الهُذَاء) (250) ، وشعْرُهُ رائق كصهيل الجيَاد ، وأصوات خصومه من الشعراء مُنْكَرَة كنُهَاق الحَمير(251) ، ويُحَاوِلُ الشُّعَرَاءُ بلُوغ غايته في الشعر ولا يقدرون ؛ فهم كالقرود التي تحاكي ابن آدم في أفعاله ، يقول :

يَرُومُونَ شَأْوِي فِي الكَــلامِ وإنَّمَــا
يُحَاكِي الفَتَى ، فِيمَا خَلا المَنْطقَ ، القرْدُ (252)

وقد أَعْرَبَ عَمَّا فِي نَفْسه منْ سيف الدولة وكافور ومنْ الملوك عامَّة في قوله لابن العميد: « إنِّي مُلَقَّى منْ هؤلاء المُلُوك ، أَقْصدُ الواحدَ بعد الواحد ، وأُمَلِّكُهُمْ شيئًا يبقى بقاء النيرين ، ويعطونني عَرَضًا فانيًا »(253) .

وقد رُزِقَ من قوة الشاعرية وروعة التعبير ما يقتل به الحُسَّاد كَمَدًا ، يقول :

فَــإِذَا مَــرَّ بِأُذْنَــي حَاسِــدٍ صَارَ مِمَّنْ كَــانَ حَيَّــا فَهَلَكْ (254)

ودَفَعَهُ الإحساس بالتفوق والاستعلاء إلى السخرية من الآخرين ، بهدف إلغاء الآخر ورفضه ، وإثبات نفسه ؛ لذا ذَمَّ خُصُومَه ومَسَخَهُم ووَصَمَهُمْ بالجَهْل والغباء ، وكانت ألفاظه تَتَّسِمُ بالعُنْفِ ، مثل : (شويعر ، المتشاعرين ، طَمَاطِم ، زِعْنِفَة) (255) .

ز) تَحْقِير الخُصُومِ :

يُوَضِّح **أدلر** أن الشعور بالارتفاع والتعالي على الآخرين من خلال تحقير كُلِّ مَنْ يتصل به ، والرغبة في النيل من الجميع بأي ثمن صورة من صُوَر النرجسيَّة ، إنَّ مِثْلَ هذا الموقف غيرُ مُرِيحٍ بالنسبة للفرد الذي ينتابه ؛ لأنه يجعله على اتصال دائم بالجانب المُظْلِم من الحياة ، ويمنعه من الاستمتاع بها (256) .

وقد كان المتنبي يُعْلِي من نفسه بتحقير الجميع ، ونرى ذلك واضحٌ في بحثه عن المثالية أو الرُّجُولة ، وهي من أبرز صفاته ، وإذا به يرى في الناس النفاق واللهو والبعد عن كل معاني الرجولة ، وهنا أعلى من نفسه بتحقير من حوله ، وهي صورة من صُوَر النرجسيَّة .

ويرى **كيرنبرج** أن التحقير من الآخرين صفة ثابتة من صفات الشخصيَّة النرجسيَّة المضطربة (257) ؛ فإن السِّمَة الواضحة عند الشخص النرجسيّ هي إعلاؤه لِقَدْرِ نفسه ، لَكِنَّ هذا الاستعلاء لا يكون – عادةً – إلا بتحقير الآخر وإظهار كراهيته .

وبَرَزَتْ هذه السِّمَة في شعر أبي الطَّيِّب ؛ فنراه دائمًا ضجرًا مِنَ الناس ومِنْ عصره , ولسان حالة يقول – ككُلِّ ذَوِي النزعة النرجسيَّة – (أَنَا العَالَم ، والعَالَم أَنَا) ؛ فإذا ما مُسَّتْ هذه القاعدة قليلاً يشيط غيظًا وحقدًا وكرهًا ؛ فكُرْه الناس يُعَدُّ متنفسًا لرُوحِ الشاعر ، يقول :

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالعَيـــشِ فِيهِمْ   وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَـــبِ الرَّغَامُ (258)

وهذه الصورة النرجسيَّة (تحقير الجميع) ترجع في أصلها إلى النظرة الأحاديَّة التي ينظر بها الشاعر إلى العالَم – وهذه النظرة تَتَشَابَه ، فيمَا أَرَى ، مع نَظْرَةِ الطِّفْل لعَالَمه – وتُعْلِي البيئة من هذه النظرة ، وتزيدها اشتعالاً .

ومَعْلُومٌ أَنَّ عُلُوَ الهمة ، والشعور بالتفوُّق ، وعدم نيل التقدير الكافي

– من وجهة نظر النرجسيّ – يجعل الأمر بهذه الحدة ، وقد عَرَضَ **كوت** خاصيتينِ بارزتينِ للشخصيَّة النرجسيَّة : « الأولى : ميل النرجسيينَ لأنْ يكونَ لهم خطٌّ ثابتٌ من الشعور بالعظمة , وإعطاء قيمة عالية لأفعالهم الشخصيَّة , والثانية : ميلهم إلى البحث عن المثاليَّة ... وقد أكد **ريتش** هذه الخاصيَّة » (259) .

ويؤكد **سالمون** و**أندرسون** أن من معايير اضطراب الشخصيَّة النرجسيَّة المثاليَّة المُزْمِنَة (260) .

وهذه المثاليَّة المُزْمِنَة هي لُبّ شخصيَّة المُتَنَبِّي في جميع أطوار حياته ؛ فهو يَبْحَثُ عنها في كُلِّ شيء ، إنَّهُ يَرَى أنَّنَا في قرنٍ من الناس قد تَسَاوَوا في الشرِّ دُونَ الخير ؛ فما فيهم أحدٌ يُرْكَنُ إليه ، يقول :

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيـلٍ سَـوَاسِيَـةٍ   شَرٍّ عَلَى الحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (261)

المُتَنَبِّي – إذن – يبحثُ عن المثاليَّة ، أو بصيغة أقرب إلى نَفْسِهِ (الرُّجُولة) ، وهي أهم معاني أبي الطَّيِّب النفسيَّة .

فَإِذَا رَأَى هَذَا النِّفَاق ، وَالخُضُوع ، وَانْكِبَاب النَّاس على اللهو ، وبُعْدُهم عن معاني الرُّجُولة ؛ فلا نلومه إذا قال ما قال في تحقير الناس والزمن ، يقول :

وَأَسْرِي فِي ظَلامِ اللَّيلِ وَحْدِي   كَأَنِّـي مِنْهُ فِي قَمَـرٍ مُنِيـرِ
فَقُلْ فِي حَاجَـةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا   عَلَى شَغَفِـي بِهَا شَرْوَى نَقِيـرِ
وَنَفْسٍ لا تُجِيبُ إِلَى خَسِـيسٍ   وَعَـينٍ لا تُدَارُ عَلَى نَـظِيـرِ
وَقِلَّةِ نَاصِرٍ جُـوزِيتَ عَـنِّي   بِشَـرٍّ مِنْكَ يَا شَـرَّ الـدُّهُـورِ
عَدُوِّي كُلُّ شَيءٍ فِـيكَ حَـتَّى   لَخِلْتُ الأُكْمَ مُـوغَرَةَ الصُّـدُورِ
فَلَو أَنِّي حُسِدْتُ عَلَى نَفِيـسٍ   لَجُـدْتُ بِـهِ لِذِي الجَـدِّ العَثُورِ
وَلَكِنِّي حُسِدْتُ عَلَى حَيَـاتِي   وَمَا خَيرُ الحَيَـاةِ بِلاَ سُـرُورِ (262)

ويقول عن سيف الدولة ، واعترافه بقدر شعره :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُـو بِلِـحْيَةِ أَحْـمَقٍ   أَرَاهُ غُبَارِي ، ثُمَّ قَـالَ لَهُ الحَقِ (263)

ويقتل شِعْرُهُ الحُسَّاد كَمَدًا ، والخَصْم – عند المُتَنبِّي – (شُوَيْعِر) ، لا يستطيع أن يأتي بشيء ، لذا يهزأ بهم ويسخر مِنْ محاولتهم منافسته والنيل من مكانته ، يقول :

أَفِي كُلِّ يومٍ تَــحْتَ ضِبْنِي شُــوَيعِرٌ
ضَعِيــفٌ يُقَاوِينِي قَصِيــرٌ يُطَــاوِلُ (264)

وللإمعان في تحقير خَصْمِه يشير إلى أنه لو أراد أن يحمله تحت حضْنه لقَدَر ، ثم إنه – على الرغم من قُصُورِهِ في صناعته – يُضَاهِيه ويُطَاوِلُه !

وقد أُولِعَ المُتَشَبِّهُونَ بالشعراء بذمه ؛ مِنْ فَرْطِ حَسَدِهِم له ، وكانت نَبْرَةُ الشاعر عالية في ختام آخر قصيدة مدح بها سيف الدولة ، يقول :

وَلا تُبَالِ بِشِعْــرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ
قَدْ أُفْسِدَ القَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ (265)

لقد تَعَمَّدَ المُتَنبِّي إهانة خصومه وحُسَّاده وتدميرهم ؛ لذا احتقر غيره من الشعراء ، وسَخِرَ منهم ، فقد كان « ذا طبيعة صَخَّابة جدًّا تحول دُونَ وُقُوفه عِنْدَ حُدُودِ الهِجَاء المُعْتَدِل » (266) ، ولعلَّ في هذا تفسيراً لسخريته اللاذعة في أهاجيه .

ح) الشُّعُورُ بِأَنَّهُ مَحْسُودٌ :

الشعور بالحسد يتزايد بوصفه رد فعل لاستمرار الفرد في المقارنة بين إنجازاته وإنجازات الآخرين(267) .

إن شعور المتنبي المُسْتَمِر بالحسد يرجع إلى مقارنته إنجازاته بإنجازات غيره ؛ فقد ظَهَرَ فِي عصر التنافُس ، الذي يتنازع فيه الجميع على الشهرة ؛ فبدأ يقارن إنجازاته بإنجازات منافسيه ، وهو في ذلك يزهو ويفخر بنفسه وقدراته ؛ فحَسَدَ مُنَافِسِيه وكُرْههم له ؛ بسبب غطرسته ، أظهر نرجسيته .

وهو يَرَى أَنَّهُ يَفُوق غيره ، وأَنَّ الجَمِيعَ يَحْسُدُونه ، ويُقَصِّرُونَ في حَقِّهِ ، وأنه لم يَنَلْ المنزلة التي يستحقها ، وتتناسب مع ما يَحْمِلُهُ من مَوَاهِب بوصفه مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ والعِلْمِ ؛ لذا يلازمه شعورٌ بأنه مَحْسُود ، وقد كَرَّرَ

كلمة (الحَسَد) في ديوانه بصورة لافتة للنظر ؛ « فلا تكاد تَخْلُو قصيدة له من ذكْر الحَسَد بلَفْظه أَو بمَعْنَاه ، ومن الإيماء تارةً إلى حُسَّاد مَمْدُوحيه ، وتارة أُخرى إلى حُسَّاده هُوَ » [268] ؛ لأنه دائم التفكير في الحُسَّاد [269] ، وهُمْ – بدَورهِمْ – « لا يَحْسُدُونَهُ على منزلته ، أو ما يناله منْ فَيضِ العطايا فحسب ، وإنما يَحْسُدُونه على كُلِّ شيء » [270] ، وإنما حَظِيَ المُتَنَبِّي بهذا الحَسَد « الذي خُصَّ به من بين كبار شعراء العرب ؛ لأنه نشأ في عَصْرِ التَّنَافُس أو عَصْرِ الحَسَد ، فلقد نشأ في عصرٍ يتنازع فيه المُلْكَ والسُّمْعَةَ دُوَلٌ شَتَّى وقَادَةٌ كثيرون » [271] .

فقد كان المُتَنَبِّي يسير في طريقين : الأول : السَّعْي لكَسْب حُسَّاد وأَعداء حوله في كُلِّ مكان – منهم الشعراء ، واللغويون ، والأمراء [272] – بإصراره على التعالي والعَجْرَفَة ؛ فقد كانت « غَطْرَسَتُهُ تُزِيدُ هذا الكَيدُ وذَلِكَ الحَسَدُ تَلَظِّيًا واضطراماً » [273] .

والآخر : إغاظة هؤلاء الحُسَّاد وكَبْتهم ، والاستخفاف بهم جميعاً ؛ وقد وَجَدَ لَذَّةً كُبْرَى في ذلك ، وطَرِيقًا يشفي به غليل صدره ؛ فعندما مُنِيَ بالحُسَّاد كان لِزَاماً عليه أن يُحَارِبَهُمْ [274] ؛ لذا حَرَصَ على أن يكون (سِمَام العِدَى ، وغَيظ الحَسُود) [275] ، وطَلَبَ من كَافُور الإِخْشِيدِيِّ (ت357هـ) : (يَوماً يَغِيظُ الحَاسِدِينَ) [276] .

وقد أعدَّ الرِّمَاح لمواجهة حَاسِديه ، كما استعان بسيف الدولة لكَبْتهم [277] ، وقد استطاع أن يغيظهم ويتحداهم ، على الرغم من أنهم يتربصون به في كل مكان ؛ وجعل (فِي يَدِهِمْ غَيظٌ ، وفِي يَدِه الرِّفْدُ) [278] ؛ حتى أَقْلَقَهم ؛ وأَقامهم وأَقعدهم ؛ فلا يَسْتَقِرُّونَ خوفًا منه [279] .

وجَعَلَ نَفْسَهُ سُهَيلاً ، وأَعْدَاءَه أَولاد زِنا ، كالبهائم لا أَصل لهم ، يموتون حسداً له [280] ؛ فهو يُدْرِكُ أَنَّ مكانته جالبة للحَسَد والكَيد ؛ فرَجُلٌ مِثْلُهُ – بما يتصف به من الشُّمُوخ والمَهَابَة والوَقَار ومُقَارَعة الأَبطال – لَجَدِيرٌ بأَن يُحْسَد ويُبْغَض ؛ فهو (مُحَسَّدُ الفَضْلِ) [281] ، وله (عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمُ) [282] ؛ لذا يُشْفِقُ على حُسَّاده ويلتمس لهم العُذْر في حَقْدهم عليه ، وتآمرهم ضِدّه بالدسائس ؛ لأنه يُظْهِرُ زَيفَهُم وضَعْف شعرهم ، وعَجْزِهِمْ عن

اللِّحَاق بِهِ ، وكيف لا يُحْسَدُ مَنْ صَارَ كالعَلَمِ فِي كلِّ فضلٍ [283] ، ووَصَلَ إلى مكَانٍ (عليهِ تَحْسُدُ الحدَقَ القُلُوبُ) [284] .

وقد جعل نَفْسَهُ داءً عُضَالاً يُمْرِضُ الحُسَّاد [285] ؛ فهو عقوبةٌ لهم ؛ لأنه زاخرٌ هائجُ المَوجِ كالبحر يُغْرِقُ مَنْ يُزَاحِمُهُ دُونَ قَصْدٍ [286] ؛ ويَكْبُو البَرْقُ الخَاطفُ إنْ حَاوَلَ اللِّحَاقَ به [287] .

فهو وَحْدَهُ صاحب القوافي البديعة ، إِنَّهُ السُّمّ الذي يَسْرِي في الأبدان ، ويَفْتكُ بالأعداء ، وهو الغَيظُ الذي يُشْعِلُ النَّارَ في قُلُوبِ حُسَّاده ويُلْهِبُهَا .

ط) الطُّمُوحُ المُتَطَرِّفُ :

طُمُوح المُتَنبِّي جعله « يَسْتَصْغِرُ كُلَّ مَا نَالَهُ مِنْ مَجْدٍ ، ومِنْ مَالٍ ، ومَنْ بَذَخٍ في المعيشة ، ويَرَى أَنَّ هذا كُلَّه ، وأكبر من هذا ، دُونَ ما يستحق » [288]

وتنطوي النرجسيَّة على درجة مُعَيَّنَة مِنَ الهَذَيَان الفيزيولوجيّ ، يرجع إلى انعدام التناسُب بين التقييم الذاتي والواقع [289] .

وذلك ينطبق على شخصيَّة المتنبي ؛ فهو غيرُ رَاضٍ عن واقعه ، ويرى أنه لا يناسبه فكل ما ناله من مال ومجد أقل ممَّا يستحق . يقول :

وَلَكِــنَّ قَــلْباً بَــينَ جَــنْبَيَّ مَــا لَــهُ
مَــدًى يَنْتَــهِي بِــي فِــي مُرَادٍ أَحُدُّهُ [290]

لذا أخذ نفسه بالحَزْم والجدّ والعَزْم ، وكثيراً ما تَكَبَّدَ أسفاراً بعيدة ، وقد عَبَّرَتْ قصائده عن نرجسيته ؛ فشعرُهُ « حوارٌ مُسْتَمِر بين الطموح الذي لا يَعْرِفُ غاية ، والواقع الواهِن الذي لا يَقْدِر أن يُسَايِرَ هذا الطُّمُوح »[291] .

وقد جَمَحَ به طُمُوحُهُ إلى حدِّ الثورة ؛ فقد صَمَّمَ أن يكون رجلاً ذا خَطَرٍ بين الناس ، بعد أَنْ سَيطَرَتْ عليه شَهْوَةُ المَجْدِ ، وهو يَسْعَى للكمال والتمام ، ويرى مِنْ أكبــر العيوب أن يرضى الإنسان بالنقص ، ويقنع بالقليل :

عَجِــبْتُ لِمَــنْ لَــهُ قَــدٌّ وَحَدٌّ — وَيَنْبُو نَبْــوَةَ القَــضِمِ الكَــهَــامِ
ومَنْ يَجِدُ الطَّرِيــقَ إِلَى المَعَالِي — فَــلا يَــذَرُ المَــطِيَّ بِــلا سَنَامِ
وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئَــا — كَنَقْــصِ القَــادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ [292]

غير أنّ « نفساً لا تَعْرِفُ القناعةَ والرِّضا قد سَكَنَتْ لحمه وعظمه ؛ فَقَطَعَ الحياةَ شامخاً متعالياً ، لا تَشُدُّه قُوَّةٌ إلى القَبُول بما قد قَسَمَهُ له المليك ؛ فَظَلَّ يُسَاوِرُهُ طُمُوحُ الرِّئاسة والزِّعَامة ؛ فلا يَرَى فيمَنْ تَوَلاها خيراً لها من ذاته ، لكنه لم يبلغها بعد أَنْ أَسْرَفَ في طلبها ، وكان ذلك الطُّموح يعود عليه بكثير من الشُّرُور » [293] .

وهو لا يرضى بالميسور من العيش ، يقول :

لَيسَ التَّعَلُّلُ بالآمَالِ مِنْ أَرَبِي وَلا القَنَاعَةُ بالإقْلالِ مِنْ شِيَمِي [294]

ويقول :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ فَلا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ [295]

ولا شَكَّ في أن هذا الطُّمُوحَ المُتَطَرِّفَ يُخْفِي وراءه إحساساً عميقاً بالضَّعَة ، ويصاحبه شعوراً ملازماً بالقلق ، يقول :

كَرِيشَةٍ بِمَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ لا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ القَلَقِ [296]

فهو دائماً يشعر بالقلق ، كأنه على ظهر الريح ، يقول :

عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي أُوَجِّهُهَا جَنُوباً أَو شَمَالا [297]

إِنَّ نَفْسَهُ ثائرةٌ تَمُوجُ بالقُوَّةِ والحَمَاسَةِ والانْدفاع ؛ لذا يَحْتَقِرُ الآخرين ، ويبغي حَقَّهُ تارةً بالضَّرْبِ والطَّعْنِ ، وتارةً أُخْرَى يَسْأَلُ الأيامَ هذا الحقّ ، ويُرِيدُ منها ما لا يُرِيدُهُ سِوَاهُ ، وما لم يَجْرِ قطُّ بِخَاطِرِ غيرِه [298] .

وقد اعتاد كثيرٌ من البشر إخفاء الغرور عن طريق الطُّمُوحِ المُتَعَالِي ؛ فهناك كثيرون يتفاخر الواحد منهم بطموحاته [299] .

وهذا ينطبق على المتنبي ؛ فزهوه بنفسه وإعجابه بها ظهر في طُمُوحِه المتعالي ، الذي أظهر رغبته في الكمال ؛ فهو يرى في النقص عيباً ؛ وقد دفعه غروره إلى التَّطَلُّع إلى الرئاسة ؛ فزادت شخصيته النرجسية وُضُوحاً ورُسُوخاً .

ي) طَلَبُ المَنْصِب :

يحمل المُتَنَبِّي بين جَنْبَيه قَلْبَ مَلِك ، ولسَانَ شَاعِر ؛ لذا حين نقرأ شِعْرَهُ « نجد بين السطور نَفْساً أقوى وأعنف من نَفْس أيِّ شاعر عرفناه ، نَفْس قائد أو ثائر أو ملك أو فيلسوف يُبَشِّر بفلسفة القُوَّة والعُنْف ، شاعر

يصف النفس البشريَّة ويُعَرِّيها ويصمها بالنذالة والجُبْن والخِداع والغِشّ » (300) .

إِنَّهُ شَاعِرُ النفس الإنسانيَّة التي عَذَّبَها طموحها ، وقد أحسّ « مِنْ نفسه السُّمُوّ والنَّبَالة ؛ فظَنَّ أَنَّ السُّمُوَّ لا يكون إلا بين المواكب والمقانب ، وأَنَّ النَّبَالة لا تَصِحُّ إلا لذِي تَاجٍ وصَولَجَان وعَرْشٍ وإِيوَان ، وسيفٍ يَضْرِب الأعناق ، ورُمحٍ يرتوي بالدِّمَاء ، وقد كان الحال كذلك في عصره ، وكان هذا مقياس المَجْد الذي لا مقياس غيره ، فطلب الرَّجُلُ المُلْكَ جاداًّ في طلبه » (301) ؛ فهو يريد من الزمان ما لا يستطيع الزمان نفسه أن يبلغه :

أُرِيــدُ مِــنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي   مَا لَــيسَ يَبْلُغُهُ فــي نَفْسِه الزَّمَنُ (302)

وهو « يستَعْظِمُ نَفْسَهُ على الشعر أو على التَّكَسُّب بالمَدائح والزُّلْفَى منَ المُلُوكِ والأُمَرَاء ، ويرى أنه خُلِقَ لِمَا هُوَ أَجَلّ وأرفع من ذلك ، وهو المُلْك والقيادة ، فلا يُبَالِي أن يَطُولَ علَى ذَوِي السُّلْطَان بهذا الاعتقاد في قصائده التي يمدحهم بها » (303) .

ولذلك كله اصطبغت حياته باللون الأحمر القاني ، منذ أن حَدَّدَ هَدَفَهُ في الحياة ؛ فقد مَنَعَ نفسه من كُلّ ألوان اللهو والراحة ، واقتصد في سائر المُتَع والمَلَذَّات ؛ لأنَّ المطلب صعب ، وعلى قدر جَلال المطلب تَكُون صُعُوبة المرتقى ؛ فإذا (عَظُمَ المَطْلُوبُ قَلَّ المُسَاعِدُ) (304) ؛ ومن أجل ذلك نجده « مبغضاً للخمر أشد البُغْض ، ممتنعاً عنها أشد الامتناع ، يرى أن الإقبال عليها فضلاً عن معاقرتها لا يُلائم ما يملأ نفسه من الأمل والجِدّ » (305) ، ويظهر هذا في قوله لصديقه أبي ضُبَيس عندما سأله الشراب :

أَلَذُّ مِــنَ المُــدَامِ الخَنْدَرِيسِ   وأَحْلَى مِــنْ مُعَاطَاةِ الكُؤُوسِ
مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ والعَــوَالِي   وإِقْحَامِي خَمِيسًــا فِي خَمِيسِ
فَمَوتِي فِي الوَغَى أَرَبِي لأَنِّي   رَأَيتُ العَيْشَ فِي أَرَبِ النُّفُوسِ (306)

إنه يتمنى أن يموت في الوغى ، وهذا أقصى ما يرجوه ، ويتحقق أَمَلُهُ تَحْتَ ظلال السُّيُوف .

وقد تَطَلَّعَ إلى الوِلاية والزِّعَامة ، ودار حُبّ الرئاسة في رأسه ، وأَظْهَرَ ما يُضْمِرُ من كامن وسواسه في الخروج عن السلطان ، والاستظهار

بالشُّجْعَان ، والاستيلاء على بعض الأطراف (307) ؛ كما يظهر في قوله :

وَإِنْ عَمِرْتُ جَعَلْتُ الحَرْبَ وَالدَةً   وَالسَّمْهَرِيَّ أَخًا ، وَالمَشْرَفِيَّ أَبَا
بكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى المَوتَ مُبْتَسِمًا   حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرَبَا
قُحٍّ يَكَادُ صَهِيلُ الخَيلِ يَقْذِفُهُ   مِنْ سَرْجِهِ مَرَحًا بِالعِزِّ أَو طَرَبَا
فَالمَوتُ أَعْذَرُ لِي ، وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي
وَالبَرُّ أَوسَعُ ، وَالدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا (308)

إنه يَبْغِي المجد والعلاء ، والوصول إلى الولاية ، وقد أفنى عمره وهو يصبو إلى تحقيق ذلك ؛ فكل سيره وسعيه في بِقَاع الأرض من أجل طَلَبِ المَعَالِي لا المعاش (309) .

وبين الغَيظ من سيف الدولة والطَّمَع في الولاية انطلق لسانه يمدح كافورًا ، الذي (تَهَبُ الدُّولات رَاحَتُهُ) (310) ، وأَلَحَّ – إلحاحًا شديدًا – في طلب المنصب ؛ فسأل كافورًا أن يُوليه صَيْداء من بلادِ الشامِ ، أو غيرها من بلاد الصعيد (311) ، يقول :

أَبَا المِسْكِ هَلْ فِي الكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ؟   فَإِنِّي أُغَنِّي مُنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّي زَمَانِنَا   وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيكَ تَطْلُبُ
إِذَا لَمْ تَنُطْ بِي ضَيعَةً أَو وِلايَةً   فَجُودُكَ يَكْسُونِي، وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ (312)

ويقول :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ   سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ (313)

ويقول :

وَغَيرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ   فَيَرْجِعَ مَلْكًا لِلعِرَاقَينِ وَالِيَا
فَقَدْ تَهَبُ الجَيشَ الذِي جَاءَ غَازِيًا   لِسَائِلِكَ الفَرْدِ الذِي جَاءَ عَافِيَا (314)

وهو يطْلُبُ المَنْصبَ الفاخر لا المالَ ، يقول :

وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ   وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ (315)

وكان كَافُور « مِنَ الحُنْكَة السياسيَّة بحيثُ لا تَخفَى عليه خُطُورة مَنْح أقل جزء من السُّلْطَة إلى رجل كالمُتَنَبِّي مُبْتَلى بجُنُون العَظَمَة » (316) .

إنَّ المُتَنَبِّي من خلال دراسته للناس ، أَدْرَكَ الفَرْقَ الكبير الذي يَكْمُنُ بين عِلْمِهِ وجَهْلِهِم ، فَضْلِه ونَقْصِهِمْ ؛ ومن ثَمَّ « اقتنع بصلاحه للحُكْم

والسِّيَادة والسُّلْطَة ، ولم يَحْصل على شيءٍ من هذا في واقعه اليوميّ ؛ فحصل عليه في عالم الخيال .

إنَّ موقفَهُ النفسيّ يمثِّلُ ثورةً فكريَّة فرديَّة وهميَّة ، تَقُومُ على التخيُّل والوَهْم ؛ فهو نوعٌ من الهوس وجنون العظَمة ... فيستَحيلُ هذا القلم في ذهن الشَّاعر إلى سيفٍ بتَّار ، والكلمات إلى جيُوش غاضبة تحت إمرته يفعل بها ما يشَاء » [317] .

فقد رأى في الولاية غيظًا للحُسَّاد والأَعْدَاء والشَّامتينَ ، وتحقيقًا لما تصبو إليه نفسه من السيادة والعزَّة والسُّلْطَان ، وانتصافًا منَ الزمانِ المُحَابي ؛ لذا لم يدخر وسعًا من أجل تحقيق أمنيته الغالية ، ولكنه لم يَصلْ لها ، وإن لم يستطع أن يتزعم إمارةً في حلَب ، أو في مصر – وهما زائلتانِ– فقد تزعَّم إمارة الشعر .

ومعروفٌ أن الإحباط الذي لا يقوى الراشد على مواجهة آثاره النفسيَّة بحلٍّ واقعي مناسب ، سواء أكان ذلك نتيجة لضخامة الإحباط ، أم لاستعداد نشوئي قِوامُهُ عدم القدرة على احتمال الإحباط ، يترتب عليه توتُّر ، يؤدِّي – بدوره – إلى النكوص إلى أنماط من السُّلوك تُميز مراحل الطُّفُولة (كالسُّلوك النَّرْجسِيِّ) ، وينشأ نوعٌ من الأمراض العقليَّة ، وهي الأعصبة النرجسيَّة على حد تعبير **فرويد** [318] .

إن إحباط المتنبي ؛ لوضاعة نسبه ، وفقره ، وتجاهُل الآخرين له ، وفشله في نيل المنصب الرفيع ، أَدَّى إلى توتُّر ، أفضى – بدوره – إلى النُّكُوص إلى نمط من أنماط السلوك تُميِّز مراحل الطُّفُولة (كالسُّلوك النَّرْجسِيّ) .

ك) النُّزُوعُ إلى المَجْد :

وَسَائلُ المُتَنَبِّي إلى آمَاله الحَرْب والفتك وقَتْل الرؤساء ؛ وقد وَطَّنَ نفسه على الهلاك ، بعد أَنْ أَدْرَكَ أَنَّ ما تَشْتَهيه نَفْسُهُ منَ المَجْدِ (صَعْبٌ مَرَامُهُ) [319] ؛ لأنَّ مَنْ يَطْلُب العزَّ ، يَشُقّ قَلْبَ التَّوَى [320] .

وقد كان منذ صباه يَبْغِي المَجْد والسُّؤْدُد ، ويَلْهَجُ بِالمُلْكِ ، ويَبْنِي صُرُوحَ الآمال الجِسَام ، ويرتبط المَوْتُ بالمَجْد في شعره ؛ فهو يبغي الموت في سبيل مجد خالد ، هو حُلم الدولة العربية المنشودة ، يقول :

وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِي مِن المَجْدِ والعُلا تَسَــاوَى المَحَايي عِنْدَهُ وَالمَقَاتِلُ [321]

وهو يفضلُ أن يكسِي جسمه دروعًا تهدُّه ، بدلاً من أن يُكْسَى شُفُوفًا تَرُبُّه ؛ لأنها أدنى إلى المَجْدِ والشرف (322) ؛ إنه يريدُ تاجًا وعرشًا ، يُنَصِّبه التاج أميرًا للشعراء ، ويُمَلِّكُهُ العَرْشُ إمارة ؛ فلم يَقْنَعْ بالأُعْطيات والأموال والعبيد ، وطَمَحَ إلى الولاية والرياسة .

وتسيطر نوبات الملل على النرجسيّ كلما خَلا إلى نفسه ، وفَرَغَ مِنْ عَمَلٍ ، وكان ذلك حال المُتَنَبِّي عند كافور ؛ لذا نراه دائب الحركة ، لا يركن إلى حياة الاسترخاء ، ويرفُضِ الخُمُولِ والرَّاحَة ؛ إنه يؤثِرُ السَّفَرَ والتعب ، والصراع والقتال ، على السُّكُونِ والدَّعَة ؛ لقد استولت عليه شهوة المجد ، وألهته عن سائرِ الشهواتِ – كشُرْبِ الخَمْر ، ومُضاجَعَة الحِسَان ، وسماع الغناء – وأخذ يُجَهِّزُ نَفْسَهُ ليوم الطِّعَان ، يقول :

يَشْغَلُنِي عَنْهَا وعَنْ غَيرِهَا تَوطِيني النَّفْسَ لِيَومِ الطِّعَانْ (323)

ويطْرَبُ لسماعِ قَرْعِ السيوف ، يقول :

حَتَّى تكُــونَ الباتــرا تُ المُسْمِعَات فَأَطْرَبَا (324)

ويرى أنَّ المجد يُكْسَبُ بقتلِ الأعداء ، لقد رآه فيما لم يَرَهُ غيره ، رآه محمولاً على ذُبَابِ السيوف وتَحْتَ نصالها ، يقول :

ولا تَحْسَبَــنَّ المجْــدَ زِقًّــا وقَيْنَــةً فَمَا المَجْدُ إلاَّ السَّيفُ والفَتْكَةُ البِكْــرُ
وتَضْرِيبُ أَعْنَاقِ المُلُوكِ ، وأَنْ تُرَى لَكَ الهَبَوَاتُ السُّودُ والعَسْكَرُ المَجْرُ (325)

ولا يُدْرَكُ المَجْدُ بالقَلَمِ (326) ؛ فالعِزَّة والمَجْد لا سبيلَ إليهما إلا بالحَرْب الضَّرُوس ؛ لذا يُلْقِي بِنَفْسِهِ فِي مَوارِدِ الهلاك ؛ لأنها هي السبيل الوحيد للمجد ، يقول :

وأُورِدُ نَفْــسِي والمُهَــنَّدُ فــي يَدِي مَوَارِدَ لا يُصْدِرْنَ مَنْ لا يُجَالِدُ (327)

ولا يدركُ المجدَ إلا (سَيِّدٌ فَطِنٌ لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَّالُ) (328) ، فُؤَاده مُغْرَمٌ ببيضِ الهِنْد (329) .

وكان يحلُو له إعادة القَول : « إنَّ النِّضَالَ هَدَفُهُ في الحياة ، لا الاستسلام لمَلَذَّاتِهَا »(330) ، ولا يَسْتَنْفِرُ غَرَائِزَهُ إلا شَهْوَة المَجْدِ وحدَها (331) ؛ فإنَّ لَذَّتَهُ فيما يَفِرُّ الناسُ منه ، يقول :

سُبْحَانَ خَــالِقِ نَفْسِي كَيفَ لَذَّتُهَــا فِيمَا النُّفُــوسُ تَــرَاهُ غَايَةَ الأَلَــمِ ! (332)

ل) تمْجِيدُ القُوَّة :

إِنَّ الصفَةَ البارزة عند المُتَنَبِّي ، التي تَظْهَر في شعره كله ، هي القوة ؛ فَإِنَّ الحَيَاةَ يَتَحَكَّمُ فيها منطق القُوَّة ، ولا تتحقق معالي الأمور فيها إلا بمغالبة الصِّعَاب وتكبُّد المتاعب ؛ فإن (الدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَ) [333] ، و(صَدْمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَحْزَمُ) [334] .

فقد كَانَتْ نَفْسُهُ كَأَمْوَاجِ البَحْرِ ، إِنْ تَسْتَرِحْ تَمُتْ [335] ، وتجد في وصفه للمعارك « قُوَّةً وفُتُوَّةً ونشاطًا وعُنفًا ، تلك القُوَّةُ التي ترتفع بك إلى أقصى ما تستطيع أن تَبْلُغَ من أملٍ وثقَةٍ وعُنْف »[336] .

وهو يُؤْمِنُ بِأَنَّ القَوِيَّ يَفْتَرِسُ الضَّعِيفَ ، وممَّا يُدَلِّلُ عَلَى ذَلك قَوله :

إِنَّمَا أَنْفُسُ الأَنِيسِ سِبَاعٌ يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيَالا
مَنْ أَطَاقَ التِمَاسَ شَيءٍ غِلابًا وَاغْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالا [337]

إن الدافع الذي يُؤَدِّي دَورًا بَارِزًا في نمو وتطور الشخصيَّة هو السعي الحثيث للحصول على المزيد من القوة ، تحت تأثير الشعور بالدونيَّة ؛ فيسعى الفرد لتعويض ضعف قُوَاه [338] .

وهذا ما ينطبق على شخصية المُتَنَبِّي ؛ حيث سعى للحصول على المزيد من القوة ؛ لتعويض ضعف قواه في الطفولة .

ويوضح **أدلر** أنه عندما تزداد مشاعر الدونيَّة ، وتصل إلى درجة أن الفرد لن يستطيع أبداً التغلُّب على نقاط ضعفه ؛ فإن خطراً جديداً يظهر ؛ فعندما يسعى الفرد للتعويض فإنه لن يقتنع باستعادة التوازن بين القُوَى التي يكتسبها ، والقُوَى المُضَادة لَهُ في البيئة المحيطة ، بل إنه سيسعى لأَنْ تميل كفَّة الميزَان بِشدَّة لصالحه طوال الوقت ، ومِنْ الحَالات المُتَطَرِّفَة السَّعْي لِلحصول على القوة والسيطرة ، الذي قد يصل إلى درجة مُبَالَغ فيها ؛ حتى إنه يجوز لنا أن نسميها حالات مَرَضِيَّة (Philological Cases) ، وستصبح كل العلاقات الطبيعية في الحياة غير مُقْنِعَة وغير كَافية بالنسبة إليهم ، وستنتابه حاجة شديدة تدفعه لأن يميل للحصول على بعض مقومات العَظَمَة . إن مثل هذا الفرد المصاب بحاجة مَرَضِيَّة شديدة تتطلب منه دائماً الحصول على المزيد من القوة (Power Drive Pathetical) ، وهى صورة من

صُوَرِ النرجسيَّة ؛ حيث يُحَاوِلُ المَرْءُ – دائمًا – تأمين وضعه في الحياة من خلال بذل جهود غير عادية ، ويتميز هذا الفرد بالغرور والفخر والرغبة في النيل من الجميع بأي ثمن (339) .

لقد جعل المتنبي من القوة غاية ووسيلة ؛ لذا سعى سعيًا حثيثًا لتحصيل القوة ؛ وذلك عوضًا عن النقص الذي عانى منه في طفولته ، ممَّا أَدَّى به إلى أَنْ وَصَلَ إلى حالة مَرَضِيَّة دفعته للحصول على مُقَوِّمَات العَظَمَة ، ومِنْ ثَمَّ ظهرت نرجسيته جَلِيَّة في سلوكه وشعره .

م) عُلُوُّ الهمَّة :

يهتم المُتَنَبِّي بنفسه ، وهي « حَزِينة مُعَنَّاة مُؤَرَّقَة ؛ لأنَّ لها هَمًّا بعيدًا » (340) ؛ فهي تسير في طَلَبِ المَعَالي ، إنه يواجه المُعْضلات والصعاب ، ويقتحم كل أزمة جَسُورًا جَرِيئًا ، ويَخْرُجُ منها ظافرًا في شُمُوخٍ وإبَاء ، ولا تَدَعه شدائدُ الدَّهرِ حَتَّى يدفعها ، يقول :

وَمَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرُكُني   حَتَّى تَسُدُّ عَلَيها طُــرقَهَا همَمِي (341)

ولا يَعْلَمُ الجاهلُ أنه إذا مَلَكَ الأرضَ كلها رأى نفسه في حال العسر ، وإذا عَلا ظَهْرَ السِّمَاكين رأى نفسه رَاجِلاً لاقتضاء همَّتِه فوق ذَلِكَ ، يقول :

وَيَجْهَلُ أَنِّي مَالِكُ الأَرْضِ مُعْسِرٌ   وَأَنِّي عَلَى ظَهْرِ السِّمَاكَينَ رَاجِلُ (342)

وجَعَلَهُ ذلك الطُّمُوح لا يهنأ بعيش ؛ لأنَّ أَكْثَرَ الخَلْقِ شقاءً أعلاهم همَّة ، يقول :

وَأَتْعَــبُ خَــلْقِ الله مَنْ زَادَ هَــمُّهُ   وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْــسُ وُجْدُهُ (343)

وعلى قدرِ همَّة الطالب يَكُونُ سَعْيُه لبُلُوغِ العُلا ، يقول :

وَكُلُّ طَــرِيــقٍ أَتَاهُ الفَــتَــى   عَلَى قَدَرِ الرِّجْلِ فيه الخُطَــى (344)

وأشار إلى عدم استقراره في مكانٍ واحدٍ لبُعْدِ هِمَّتِهِ ؛ كالسيف الحادّ إذا كَثُرَ سلُّه وإغماده أُكِلَ جَفْنُهُ :

فَإِمَّــا تَرَيْنِي لا أُقِــيــمُ بِــبَلْــدَةٍ   فَآفَةُ غِمْدِي فِي دُلُوقِي مِــنْ حَدِّي (345)

ولَكِنَّ كُلَّ بَعِيدِ الهَمِّ فِي الدُّنْيَا مُعَذَّبٌ كما يقول المُتَنَبِّي [346] ، وأبرز ما يُمَيِّز العظماء عُلُوّ همتهم ، التي لا تكاد تخلو من هُمُومٍ مُتَّصِلَة ، فهِمَّة الإنسان يحركها طُمُوحه ، والطُّمُوح يُحَرِّكُهُ الأَمَلُ فيما هو أفضل ، وكل هذا لا يخلو من شقاء ؛ فعلى قدر طموح الإنسان يكون هَمُّهُ ، وعزيمة الرَّجُلِ على قَدْرِه ، وكذلك مكارمه ؛ ولذا كان أقل الناس هَمًّا أقلهم طموحاً ، وقد أدرك المُتَنَبِّي تلك الحقيقة الإنسانيَّة فعبر عنها ببيته الخالد :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَــزْمِ تَأْتِي العَــزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ [347]

وكَانَت حَيَاةُ الرَّجُلِ – في حقيقة الأمر – نوعاً فريداً من « الصِّرَاع الدَّائِم بين اللانهائيَّة والمحدوديَّة ، أو بين آماله البعيدة وواقعه المباشر ، وهذا هو سِرُّ قَلَقِه الدَّائِم ؛ فهو لا يَعْرِفُ إلاَّ الأَطْرَافَ القَصِيَّة : الانتصار أو الموت ، تلك هي قِصَّة فِعْله المأساويّ ، لم يَسْعَ إلا للمطالب الكُبْرَى ، والاتصال بينابيع القُوَّة ، والسيطرة على العالم وتغييره ، وهو حين يتطلع إلى آفاق لا يمكنه الوصول إليها ؛ فلا بُدَّ من أن تمتلئ أعماقه بالمهاوي ، فشعره ونفسه يتجهان صُعُداً في آفاق العَظَمَة دُونَ أَنْ يَبْلُغَا عظمة أخيرة ... ولذلك كانت حَيَاتُهُ وشِعْرُهُ مشروعاً دائماً ، وتفجُّراً بركانيًّا لا يهدأ » [348] .

فإن المُتَنَبِّي أعظم الناس هَمًّا ؛ لأنه أعظمهم طموحاً ، وقد فُطِرَ على كِبَرِ النَّفْس وعُلُوّ الهِمَّة ، وقد بَالَغَ في الاعتزاز بنفسه .

ويمتلك أصحاب الشخصية النرجسيَّة – حسب رؤية **كيرنبرج** – القدرة على العمل المستمر ، وقد يكونوا ناجحين تماماً في عملهم وإنتاجهم في خدمة الاستعراض[349].

ن) العُدْوَانِيَّة :

يَعْنِي الجُرْح النرجسيّ (Blessure narcissique) المَسَاس بأعمق جوانب الذات ، والنيل من التقدير الذاتيّ ، وهو يُحْدِثُ آلاماً معنويَّة شديدة جِدًّا ، ويُفَجِّرُ القلق ، هذا فضلاً عن أنه يُوَلِّدُ عدوانيَّة – صريحة أو ضمنيَّة – تجاه العوامل التي أَدَّتْ إليه [350] ، ويظهر في « الإفراط في الانشغال بالذات سعياً وراء الإشباع السريع » [351] ، وفي بعض السلوكيات كالتقييم الإيجابيّ المُبَالَغ فيه للذات ؛ كالطموح الزائد ، والثِّقَة المُفْرِطَة في المقدرة

العقليَّة ، وأخيلة النجاح ، والشعور بالقُوَّة المُطْلَقَة ، والاستعراض ، ولفت الأنظار [352] ، وقد رأينا ذلك في شخصية المتنبي .

وقد دعا إلى استعمال الشدَّة ، وعقَدَ عزْمَهُ على السيطرة بالعُنْف ، ورأى بلاشير في ديوان أبي الطَّيِّب « صرخات تَمَرُّد ، ودَعْوَة إلى العُنْف جَديرَة بأن تَصْدُرَ عن غُلامٍ أُصيبَ بتأثيرات قَرْمَطِيَّة سابقة » [353] ؛ ذلك أن « الشعر وَحْدَهُ عَاجِزٌ عن إيصاله إلى السيطرة ؛ لأنَّ الأقوياء مُصِرُّونَ على عدم مَنْحه مكانه الجدير بعبقريته ؛ فسيلجأ إذن إلى العُنْف ؛ ليُحَقِّقَ له أَحْلامَهُ محاولاً أَن يَنْتَزِعَ بالقُوَّة نَصيبه الذي فاته من الدنيا » [354] .

وهو يؤكد أن (الظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ) [355] ، (وَمَا فِي سَطْوَةِ الأَرْبَابِ عَيبٌ) [356] ، وتتجلى النزعة العُدْوَانيَّة في قوله : (وَيَزيدُني غَضَبُ الأَعَادي قَسْوَةً) [357] ؛ فقد أَعَدَّ سُيُوفَهُ لتمزيق أُنُوف الغادرين ، يقول :

أَعْدَدْتُ لِلْغَادِرِينَ أَسْيَافَا ... أَجْدَعُ مِنْهُمْ بِهِنَّ آنَافَا
إِذَا امْرُؤٌ رَاعَنِي بِغَدْرَتِهِ ... أَوْرَدْتُهُ الغَايَةَ الَّتي خَافَا [358]

فَإِنَّ السَّيفَ سيَصْحَبُ منه رَجُلاً ، كحدَّته في مضائه :

سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ
وَيَنْجَلِي خَبَرِي عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ [359]

لأنَّ رُؤُوسَ الرِّمَاحِ لا بُدَّ أَنْ تُرْشَقَ في صُدُورِ الحَاقِدِينَ ، يقول :

فَرُءُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلغَيْـ ... ـظِ ، وَأَشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ الحَقُودِ [360]

فَإِنَّ السَّيفَ مَوكُولٌ به الحُكْم في نُفُوس الأَعْدَاء ، يقول :

سَأَجْعَلُهُ حَكَمًا فِي النُّفُوسِ ... وَلَو نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي [361]

لقد اكتسب المُتَنَبِّي طِبَاعَ الغِلْظَة والخُشُونة والعُنْف من أثر نشأته الجادَّة ، ويُتْمِه ، إضافةً إلى تَأَثُّرِه بالعُنْف الذي تَمَيَّزَتْ به الحركة القرمطيَّة [362] .

س) التَّعَطُّشُ لِرُؤْيَةِ الدِّمَاءِ :

يرى المُتَنَبِّي أَنه لا يَسْلَمُ للشريف شَرَفه منْ أَذَى الحُسَّاد والمُعَاندينَ ؛ حتى يَقْتُلَ أعداءه ؛ فإذا أراق دِمَاءَهم سَلِمَ شَرَفُهُ ؛ لأَنَّهُ يَصيرُ مَهِيباً ؛ فلا يُتَعَرَّض له ، يقول :

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفيعُ مِنَ الأَذَى حَتَّى يُــرَاقَ عَلَى جَوَانبِه الدَّمُ (363)

وقد طَلَبَ مِنْ كَافُور (عِزًّا يَخْضِبُ البِيضَ بِالدَّمِ) (364) ، وهو كَفِيلٌ بسَفْكِ دَمِ الناس جميعًا ، يقول :

أُفَكِّرُ فــي مُعَــاقَــرَةِ المنَايَــا وقَــودِ الخَيــلِ مُشْرِفَةَ الهَوَادي

زَعِيماً للقَنَا الخَطِّــيِّ عَزْمِــي بِسَفْــكِ دَمِ الحَوَاضِرِ والبَوَادي (365)

ويُبَادِرُ سَيفُه آجالَ العِبَادِ ؛ فيقتلهم قبل انقضاء أيامهم المكتوبة لهم ، يقول :

يُسَــابِــقُ سَــيفِى مَنَايَا العِــبَادِ إِلَيــهِــمْ كَــأَنَّهُمَــا فِــي رِهَــانِ (366)

فإِنَّ :

مَنِ اقْتَضَى بسِوَى الهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ أَجَــابَ كُــلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ (367)

ورغبته في رؤية الدماء جاءته من كُرهه للنَّاس ، وحِدَّة طبعه ، وعُنْف انْفِعَاله ؛ فإِنَّ علاقته مع الآخر دائمًا علاقة حرب ، وأدواته في مواجهته السيف والرُّمْح والدرع ، يقول :

ومَنْ عرَفَ الأَيَّامَ مَعْــرِفَــتِي بِهَا وبِالنَّاسِ ، رَوَّى رُمْحَهُ غيرَ رَاحِمِ (368)

وهو يدعو للسيف القاطع بسُقْيا الدَّم ، وللرُّمْح النافذ بري الدَّم :

سَقَى الدَّمُ كُلَّ نَصْلٍ غيرِ نَابٍ ورَوَّى كُــلَّ رُمْحٍ غيرِ رَاشِ (369)

ولا يشعر بالسعادة والهدوء النفسي إلا عن طريق واحد هو قتل الأعداء ، يقول :

وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الأَعَادِي فَهَلْ مِنْ زَورَةٍ تَشْفِي القُلُوبَا (370)

بل إن يتمنى من أعماق قلبه أن يشرب – قبل الموت – من دماء الأعداء :

سَقَانِي اللهُ قَبْلَ المَوتِ يَومًا دَمَ الأَعْدَاءِ مِنْ جَوفِ الجُرُوحِ (371)

إنه لا يُرِيدُ أَنْ يَشْرَبَ الدِّمَاءَ مِنَ الجُرُوحِ السَّائِلَة ، بل مِنْ جَوفِ الجُرُوح ، ولا يخفى ما في هذه الألفاظ من دلالة التلذُّذ بالدِّمَاء ، واشتهاء رؤيتها ؛ إنها حالة ضارية من العداوة .

وهو يَطيبُ له رؤية رءوس الأعداء مُمَزَّقة مُتَنَاثِرَة فوق الأُحَيدِبِ ؛ حَتَّى إِنَّهُ يُشَبِّهَهَا بالدراهم التي تتناثر فَوقَ العَرُوس يَومَ زِفَافِهَا (372) .

وقد نشأ المتنبي على تعاليم مذهب الشيعة العلويين ، عندما التحق بالمدرسة العلويَّة بالكُوفة ، التي كان لها – كما يرى طه حُسين – « تأثير ظاهر في عقل هذا الصبيّ وقلبه » [373] ، وفي هذه المدرسة تَعلَّم المُتَنبِّي تعاليم المذهب الشيعيّ وطقوسه ، ولعلَّ هذه التعاليم هي التي جعلته يميل إلى حُبّ القتال ، وأشعلت في قلبه الحماس ، وفي نفسه الحَميَّة والثورة .

ع) الثَّورَةُ علَى المُلُوك :

استحوذت فكرة الثورة على المُتَنبِّي ؛ فتَصَدَّى بشِعْرِه للمُلُوكِ المُتَخَاذلين ، وامتزجت أشعاره بالنِّقْمَة على ما في المجتمع منْ فَسَاد ، فقد كان ساخطًا على السلطة السياسيَّة الحَاكمَة والمجتمع ؛ لذا امتلأت نفسُهُ بأمرٍ كبيرٍ جعله (يَرَى المَوتَ فِي الهَيجَا جَنَى النَّحْلِ فِي الفَم) [374] .

لقد ساءه أن يرى الحُكَّام العَرَب المسلمين على ما هُمْ عَلَيه من فُرْقَةٍ وانقسام ، وأعداؤهم من الروم يتربصون بهم ؛ لذا دَعَا إلى إعادة الحُكْمِ العَرَبِيّ الإسلاميّ ، وتَحَدَّى الأمراء والملوك ، وهجاهم ووصفهم بأنهم أرانبٌ لهم جسْم البغَال وأَحلام العصافير :

وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَـــاسٌ صِغَـــارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَـــامُ
أَرَانِـــبُ غَيرَ أَنَّهُم مُلُـــوكٌ مُفَتَّحَـــةٌ عُـيُـــونُهُـــمُ نِيَـــامُ [375]

ويُعْلِنُ ثَورَتَهُ على مُلُوك عصره ، وأرباب الحُكْم كَافة ؛ لِمَا رآه من افتقارهم إلى الكرم ، والشجاعة ، والمُرُوءة ، والحِكْمة ، والتدبُّر ؛ فيقول في هجاء الملوك الأسافل :

وَجَنَّبَنِي قُـــرْبَ السَّلاطِينِ مَقْتُهَا وَمَا يَقْتَضِينِي منْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ
وَإِنِّي رَأَيتُ الضُّرَّ أَحْسَنَ مَنْظَرًا وَأَهْوَنُ مِنْ مَرْأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبْرُ [376]

فالمُتَنَبِّي لا يَنْفَكُّ « يتحفز لإعلان الثورة ، وليس تهديده لهم بالسيوف ، سوَى تعبير عن تلك الثورة التي كَظَمَهَا في نَفْسه » [377] .

لقد سَخطَ على أهل عصره لأنهم رضوا بواقعهم المؤلم ، وقَبلُوا سَادةً منَ العَبيدِ اللِّئَامِ ، يتحكمون فيهم ، دُونَ أَنْ يَسْعَوا لمحاربة هذا الفساد .

وهو يَقِفُ مَوقفَ المُعَارِض للسلطة السياسيَّة في عصره ؛ فنَرَاهُ « يتكلم كما يتكلم الفُرْسَانَ والشُّجْعَان والأُمَرَاء وذَوُو الشأن وقادة الثورات الذين

يتحدون سلاطين عصرهم » [378] ؛ فيُحَرِّضُ أَهْلَ مصرَ عَلَى قتل كافور ؛ حتى يزول عن العاقل الشَّكُّ والتُّهْمَة ، ويَصلُح حال البلاد والعباد ، يقول :

أَلا فَتًى يُوردُ الهِنْـدِيَّ هَـامَـتَهُ   كَيمَا تَزُولَ شُكُوكُ النَّاسِ وَالتُّهَمُ ؟ [379]

إنه يستنهض همم العرب ، ويستفزهم ؛ بُغْيَةَ تحفيزهم للثورة على المُلُوك العجم ، وما ذاك إلا من أجل عصبيته الشديدة للقوميَّة العربيَّة :

وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالمُلُوكِ وَمَا   تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ
لا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلا حَسَبٌ   وَلا عُهُودٌ لَهُمْ وَلا ذِمَمُ [380]

لقد استولى عليه الحُزْن لِتَحَكُّم الأعاجم في العرب ؛ فقادَ الرَّجُلُ ثورةً فعليَّة تَبِعَهُ فيها كثيرٌ من الأعراب ، إلاَّ أَنَّ ثَورَتَهُ النفسيَّة كانت أَشَدَّ عنفًا وأكثر ضراوة مِنْ ثورته الفعْليَّة التي قَادَهَا ضدَّ مُلُوك العَرَب .

ولقد كانت ثورة المُتَنَبِّي النفسيَّة والفعليَّة ، ثورةً ضد الظلم ، وثورةً على الحَجْرِ على الحريَّة ، وعلى الجُمُود العقائديّ والفكريّ الذي حاول العباسيونَ فَرْضه على الرَّعيَّة ، ولا سيما في العراق ؛ لأنَّ المُتَنَبِّي يُؤْمِنُ بأنَّ الإبداع والعظمة لا يولدانِ إلا في أحضان الحُريَّة ، وأَنَّ الثورات السياسيَّة والانقلابات الاجتماعيَّة لا قيمةَ لها ، إلا إذا اعتمدت على أساس عميق سنده الشعور الإنسانيّ الصحيح ، لا المصالح الحاضرة والشهوات الوقتيَّة .

فالثورة على الشرّ « مستكنة في ضميره ، منذ شبابه ؛ فقد أدرك أَنَّ سُلْطَان الدولة ضعيف وأنه جائر ، وأنَّ المُمْكِن المُبَاشر في مجتمعه سُرْعَان ما يصير آسناً ؛ ولكي ينقذه من التعفُّن يصرخ فيه وفي الناس محاولاً أن يصله بالمستحيل ؛ فينهال على ما لا يرضيه – في عُنْفٍ وبلا هوادة – يريد أن يقتلعه مِنْ جذوره ، وأن يُغَيِّرَ التربة كلها ، ويبذر بذوراً جديدة ، وسبيله إلى ذلك الكلمة ، وأحياناً ما يدعو إلى السيف ... وينتهي إلى مَا لا مَفَرَّ منه من إعلان الثورة على الحكام ، ويدعو إلى القتال » [381] .

قال في صباه ، وهو دون العشرين من عمره :

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لاتَ مُصْطَبَرٍ   فَالآنَ أُقْحَمُ حَتَّى لاتَ مُقْتَحَمِ
لأَتْرُكَنَّ وُجُوهَ الخَيْلِ سَاهِمَةً   وَالحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ
وَالطَّعْنُ يُحْرِقُهَا ، وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا   حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْباً مِنَ اللَّمَمِ

بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَا زَالَ مُنْتَظِرِي حَتَّى أَدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الخَدَمِ [382]

ولا تخفى ما تدل عليه الأبيات من غيظٍ شديد على هؤلاء الخَدَم المُتَسَلِّطِينَ على الحُكْم ، وهذه الثورة العارمة ناجمةٌ عن فساد العصر الذي عاش فيه ؛ لذا نراه يدعو إلى الأخذ بِكُلِّ أسباب القُوَّة في سبيل تغيير الواقع ، يقول :

رِدِي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسُ وَاتَّرِكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ
إِنْ لَمْ أَذَرْكِ عَلَى الأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلَا دُعِيتُ ابْنَ أُمِّ المَجْدِ وَالكَرَمِ
أَيَمْلِكُ المُلْكَ وَالأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ
مَنْ لَوْ رَآنِي مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ
وَلَوْ مَثَلْتُ لَهُ فِي النَّوْمِ لَمْ يَنَمِ [383]

إنه لا يُرْهِبُ الناس في اليقظة وحسب ، بل يطاردهم في نومهم ، ويُفْزِعُهُم ، ويمنعهم من لذيذ الرقاد .

وقد تَوَعَّدَ أولئك الحكام الضعفاء بالهلاك ، وأَعَدَّ لهم السلاح الذي يُطيحُ بهم ، يقول :

مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَدًا وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ العُرْبِ وَالعَجَمِ
فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمُ وَإِنْ تَوَلَّوا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمِ [384]

ولو شاوَرَ المُتَنَبِّي « الحَزْمَ الدنيويَّ لَمَا أَصْدَرَ هَذَا الإعلان ، ولا أَشْهَرَ هذا الإِنْذَار ، ولخَطَرَ له أن يتقرب إلى مَنْ نابذهم قَبْلَ مُضِيِّه إلى مصر ، كسيف الدولة على الأقل ، ولكن المُتَنَبِّي ليس مِنْ هذا الطِّرَاز ؛ لأنَّه لا يَعْرِف ضَعْفَ النفس ، ولو خَلَتْ يَدُهُ مِنْ كُلِّ وَسَائِل البَطْش ، وكَثُرَ عُدَاتُهُ ، وقَلَّ إِخْوَانُهُ ؛ فنفسه أبدًا شابَّة قويَّة على الأيام » [385] ، كما يقول :

وَفِي الجِسْمِ نَفْسٌ لا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الوَجْهِ مِنْهُ حِرَابُ
لَهَا ظُفُرٌ إِنْ كَلَّ ظُفْرٌ أُعِدُّهُ وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي الفَمِ نَابُ
يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا وَأَبْلُغُ أَقْصَى العُمْرِ وَهْيَ كَعَابُ [386]

إِنَّهُ لا يمكن أن يستقرَّ في مكان لا يُسَايِرُ طموحه ، ولا يأمل في تحقيق أمله فيه ؛ ولذلك نراه يرحل عن صديقه سيف الدولة ؛ لَمَّا عَلِمَ أن الحاسدين أفسدوا العلاقة بينهما ، وأن تحقيق حُلْمِه في هذه البلاد غدا أمرًا

مستحيلاً ؛ ولذا قرر الذهاب إلى مصر بعدما مَنَّاهُ الإخشيديّ بولاية صيداء العسكريَّة .

إنَّ غُرْبة المُتَنبِّي ووحدته ليست وَحْدَة « تَرْكَنُ إلى الدَّعة ، أو تَلْجَأ إلى الراحة ، إنها وحدة المجابهة ، ومِنْ مظاهر مجابهته للعالَم مِنْ حوله تمرُّده على المجتمع ، وإعلانه الثورة على الفساد والضعف والظُّلْم ؛ فكثيرٌ ممَّنْ حوله صغار ، وغنم للراعي العبد الذي هو أحقٌّ بضرب الرأس من وَثَن » [387] ؛ ولذلك نجده يقول في نونيته المشهورة :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الهَمِّ أَخْلاهُمْ مِنَ الفِطَنِ [388]

الخَاتمة ونَتَائجُ البَحْث

إنَّ رَجُلاً مثل المُتَنبِّي قَضَى حياتَهُ بحثًا عن الرُّجُولة المُطْلَقة ، والمَجْد البَاذخ ، ومَعَالي الأمور ، وعَذَّبَ نفسه فأضناها في سبيل تحقيق هذه الأحلام والأماني ، لا بُدَّ من أن يكون قد خَلَّفَ تجربة بحجم الكون كله ، تجربة تحمل سمات الإنسانية الفاضلة ، صاغتها فلسفته اللغويَّة Linguistic (Philosophy) في قالب شعريّ مُحْكَم ، يَنُمُّ عن تفُّردٍ في الموهبة ، وأصالة .

وأساس النرجسيَّة البيئة التي تُحيطُ بالشاعر – كما رأينا عند المُتَنبِّي – فالتكوين الأَوَّل لها كان في طَور الطُّفُولَة ؛ فقد نشأ نشأةً جادَّة قاسية على يدي جدَّته المُحبَّة , ثُمَّ زادت نرجسيته بُزُوغًا في فترة الفُتُوَّة ؛ بسبب التجاهُل الذي عَانَى منْهُ في ذلك الوقت .

وقد انتهيتُ إلى أن هذه الآفة قد سيطرت على شخصية المُتَنبِّي ، وإليها يرجع اضطرابه وتناقضه ؛ فقد كَشَفَ البحثُ عن إصابة الرَّجُل بالنرجسيَّة ، التي تظهر في الإحساس المُبَالَغ فيه بأهمية الذات أو التفرُّد ، وحاجته الدائمة لجذب الاهتمام والإعجاب ، ومشكلات في التفهُّم لموقف الآخر ، والقلق الشديد ، فضلاً عن سمَة الانفعاليَّة المُتَمَثِّلَة في التهيُّج أو عدم الاتزان الانفعاليّ عندما يشعر بانخفاض في تقدير الآخرين له .

وقد أَرْجَعْتُ أسباب نرجسيَّته إلى أحوال عصره ، وطُفُولته الجَادّة ، ووضاعة نسبه ، وفقره ، وتَجَاهُل الآخرين له ، وشعوره بالاضطهاد .

وقد ظهرت أعراض نرجسيته – ينطق بها شعره وسيرته – في عدة أمور منها : المكابرة بالذات ، والأنا المتعالية ، والكبرياء ، والإعلان الدائم عن الذات ، واختلاف شعره عن شعر غيره ، والفخر بشعره ، وتحقير الخصوم ، والشعور بأنه محسود ، والطموح المتطرف ، وطلب المنصب ، والنزوع إلى المجد ، وتمجيد القوة ، وعلو الهمة ، والعدوانية ، والتعطش إلى رؤية الدماء ، والثورة على الملوك .

وعلى الرغم من الدراسات الكثيرة – القديمة والحديثة – والمعارك النقديَّة التي دارت حول المُتَنَبِّي وشعره ؛ فَإِنَّ شِعْرَهُ ما زال يُغْرِي بِالمَزِيد مِنَ البَحْث والتَّعَمُّق ؛ لأَنَّهُ مصدرٌ متجددٌ ، مهما تقادم به الزمن ؛ ما زال قَادِرًا على العطاء ، وعَصِيًّا على الكشف ، وما علينا إلا أَنْ نُدْلِي بِدَلْوِنَا حتى نَخْرُجَ منه بكُلِّ ثمين ، فشعر الرجل وشخصه ما زال بعيداً عن النظريات الحديثة في علم النفس ، التي قد ينتج من تطبيقها عليه فَتْحَ آفَاقٍ جديدة ، نستطيع بها أن نصل الماضي بالحاضر ، وخاصة أنه بمنأى عن الدراسات الأسلوبيَّة الإحصائيَّة ، التي يجب علينا الاعتراف بجدواها في مجال الدراسات النقديَّة الحديثة .

الحواشي

(1) علي كامل : المتنبي والنفس ، مجلة آفاق عربية ، بغداد ، العدد 4 ، ديسمبر 1977م .
(2) يوسف سامي اليوسف : لماذا صمد المتنبي ؟ ، مجلة المعرفة السورية ، سورية ، العددان 119، 120 ، 1978م .
(3) أحمد عتمان : على هامش الأسطورة الإغريقية في شعر السياب ، مجلة فصول ، الأدب المقارن ، الجزء الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مج 3 ، ع 4 ، يوليو وأغسطس وسبتمبر 1983 م ، ص45 .
(4) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(5) سيجموند فرويد : ما فوق مبدأ اللذة ، ترجمة إسحاق رمزي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، 1994م ، ص 14 .
(6) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1987م ، ص 32 .
(7) مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي ؛ مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، المركز الثقافيّ العربيّ ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 9 ، 2005م ، ص 243 .
(8) سيجموند فرويد : حياتي والتحليل النفسي ، ترجمة مصطفى زيور ، عبد المنعم المليجي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، 1994م ، ص 82 .
(9) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 3 .
(10) عبد الرقيب أحمد البحيري : استبيان الشخصية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1985م ، ص 10 .
(11) مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي ، ص 243 .
(12) بول ريكور : في التفسير ؛ محاولة في فرويد ، ترجمة وجيه أسعد ، أطلس للنشر والتوزيع ، دمشق ، الجمهورية العربية السورية ، ط1 ، 2003م ، ص 368 – 369 .
(13) حسين عبد القادر ، محمد أحمد النابلسيّ : التحليل النفسي ؛ ماضيه ومستقبله ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 2002م ، ص232 .
(14) بول ريكور : في التفسير ؛ محاولة في فرويد ، ص 349 – 354 .
(15) المرجع نفسه ، ص 184 .
(16) المرجع نفسه ، ص 273 .
(17) المرجع نفسه ، ص 110 .
(18) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 13 .
(19) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(20) المرجع نفسه ، ص 14 .

(21) المرجع نفسه ، ص 34 .
(22) المرجع نفسه ، ص 12 .
(23) سيجموند فرويد : ثلاث مقالات في نظرية الجنس ، ترجمة سامي محمود على ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، 1963م ، ص174.
(24) فرويد : الأَنَا والهُوَ ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، بيروت ، ط4 ، 1402هـ - 1982م ، ص 50 حاشية (1) .
(25) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 18 .
(26) المرجع السابق ، ص 32 .
(27) بيلا غرانبرغر: النرجسية ؛ دراسة نفسية ، ترجمة وجيه أسعد ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2000م ، ص 10 .
(28) المرجع السابق ، ص 18 من مُقَدِّمَة المترجم .
(29) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 18 .
(30) سيجموند فرويد : حياتي والتحليل النفسي ، ترجمة مصطفى زيور ، عبد المنعم المليجي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، 1994م ، ص 86 .
(31) سيجموند فرويد : الحَيَاةُ الجِنْسِيَّةُ ، ترجمة جُورج طَرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ط3 ، 1999م ، ص 113 – 115 .
(32) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 19 - 20 .
(33) انظر : المرجع السابق ، ص 29 ، 38 .
(34) المرجع نفسه ، ص 32.
(35) المرجع نفسه ، ص 83.
(36) المرجع نفسه ، ص 79 .
(37) المرجع نفسه ، ص 128 - 129 .
(38) بيلا غرانبرغر: النرجسية ؛ دراسة نفسية ، ص 198 .
(39) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 151 .
(40) المرجع السابق ، ص 147 .
(41) المرجع نفسه ، ص 83 .
(42) لورانس برفين : علم الشخصية ، ترجمة عبد الحليم محمود السيد ، أيمن محمد عامر ، محمد يحيى الرخاوي ، مراجعة عبد الحليم محمود السيد ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2010م ، 336/2 .
(43) المرجع السابق ، 346/2- 347 .
(44) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 153 .

(45) بيلا غرانبرغر: النرجسية ؛ دراسة نفسية ، ص 28 .
(46) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 49 - 50 .
(47) طه حسين : خصام ونقد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2014م ، ص143 .
(48) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(49) عبد الرقيب أحمد البحيري : استبيان الشخصية ، ص 57 .
(50) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 32 .
(51) المرجع السابق ، ص 84 .
(52)Bursten,b,narcissistic,personalitiesin.s.m,111,comp-rehnsive.psychiatry,1982,p412 .
(53) يوسف البديعي : الصُّبْحُ المُنْبِي عَنْ حَيِثِيَّة المُتَنَبِّي ، تحقيق مصطفى السقا ، محمد شتا ، عبده زيادة عبده ، سلسلة ذخائر العرب (36) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963م ، ص 80 - 81 . وانظر : المتنبي : ديوان أَبِي الطَّيِّب المُتَنَبِّي ؛ المُسَمَّى بِالتِّبْيَان فِي شَرْحِ الدِّيوَان ، المنسوب للعُكْبَرِيّ (ت616هـ) ، ضَبَطَهُ وصَحَّحَهُ ووَضَع فَهَارِسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د . ت ، 39/3 .
(54) ألفريد أدلر : الطَّبِيعَة البَشَرِيَّة ، ترجمة عادل نجيب بشري ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2005م ، ص 41 .
(55) المرجع السابق ، ص 159 .
(56) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(57) ألفريد أدلر : الطَّبِيعَة البَشَرِيَّة ، ص 169 .
(58) عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، 1987م ، ص 142 .
(59) طه حسين : مع المتنبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط13، 1986م ، ص 32 .
(60) المرجع السابق ، ص 26 .
(61) وهذه الثورات هي الثورة البابكية أو الخرمية في أول القرن الثالث ، وثورة الزنج أواسط هذا القرن ، وثورة القرامطة في آخره وفي أثناء القرن الرابع . المرجع نفسه ، ص 30 .
(62) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(63) عبد الرقيب أحمد البحيري : الديناميات الوظيفيَّة للشخصيَّة النرجسيَّة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 2007م ، ص 47 .
(64) بنو جُعْفِي بطن من سعد العشيرة ، من القحطانيَّة . ابن خَلِّكَان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1970م ، 123/1 .
(65) يوسف البديعيّ : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص 20 .

(66) الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، شرح وتحقيق محمد مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1403هـ - 1983م ، 141/1 .
(67) ريجيس بَلاشِير : أبو الطيب المتنبي ؛ دراسة في التاريخ الأدبي ، ترجمة إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 1405هـ - 1985م ، ص 41 .
(68) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 106/4.
(69) المصدر السابق ، 227/1 .
(70) بيلا غرانبرغر: النرجسية ؛ دراسة نفسية ، ص 200 .
(71) حسين عبد القادر ، محمد أحمد النابلسيّ : التحليل النفسي ، ص278 - 279 .
(72) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 159/3 .
(73) محمود محمد شاكر: المتنبي ؛ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مطبعة المدني ، القاهرة ، دار المدني ، جدة ، 1407هـ - 1987م ، ص 183.
(74) ألفريد أدلر : الطَّبِيعَة البَشَرِيَّة ، ص 163 - 164 .
(75) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسية ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 39.
(76) المرجع السابق ، ص 36.
(77) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(78) المرجع نفسه ، ص 37 - 38 .
(79) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 102/4- 107.
(80) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسية ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 39.
(81) الثعالبي : يَتِيمَة الدَّهْرِ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ العَصْرِ ، 141/1.
(82) يوسف البديعيّ : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص 145 .
(83) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(84) طه حسين : مع المتنبي ، ص 34.
(85) المرجع السابق ، ص 12 .
(86) المرجع نفسه ، ص 12 – 16.
(87) المرجع نفسه ، ص 25 .
(88) المرجع نفسه ، ص 21 .
(89) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(90) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(91) المرجع نفسه ، ص 25 .
(92) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 322/1 .
(93) المصدر السابق ، 109/4 .
(94) المصدر نفسه ، 145/4 .
(95) المصدر نفسه ، 266/3 – 267 .

(96) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسية ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 37.
(97) محمود محمد شاكر: المتنبي ، ص 51 – 60 .
(98) انظر : أَبُو القَاسِم الأَصْفَهَانِيّ : الوَاضِحُ فِي مُشْكِلاتِ شِعْرِ المُتَنَبِّي ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968م ، ص 6 .
(99) محمود محمد شاكر: المتنبي ، ص 167- 168 .
(100) عبد الوهاب عزام : ذِكْرَى أبي الطيب بعد ألف عام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2014م ، ص 33 .
(101) حامد عبد القادر : دراسات في علم النفس الأدبي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، 1949م ، ص25 .
(102) أَوَّلُ مَنْ صَاغَ هذا المصطلح (المُعَادِل المَوضُوعِيّ) الشاعر والناقد والمفكر البريطاني (إليوت) في دراسته عن مسرحية (هَاملت) لشكسبير ، التي نُشِرَتْ سنة 1919م ، حيث قال : « إِنَّ الطريقة الوحيدة للتعبير عن عاطفة ما في الفن هي العثور على (معادل موضوعي) ، أي مجموعة من الأشياء المنتظمة ، أو على موقف ، أو على سلسلة من الأحداث التي يصير أيّ واحد منها هو الصياغة الفنية لتلك العاطفة بالذات ؛ بحيث تُستثار تلك العاطفة على النُّمُوّ ، حينما تُقَدِّم تلك الحقائق التاريخيَّة » ، وقد اشتهر بهذا المصطلح في مصر رشاد رشدي ، وصلاح عبد الصبور . انظر : سامي خشبة : مصطلحات فكريَّة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1997م ، ص 217- 218 .
(103) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 107/4.
(104) ريجيس بَلاشِير : أبو الطيب المتنبي ؛ دراسة في التاريخ الأدبي ، ص 42 .
(105) أحمد أمين : فيض الخاطر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1943م ، 80/4 .
(106) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 22/2 – 23 .
(107) المصدر السابق ، 377/3 .
(108) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسية ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 35.
(109) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 320/1 .
(110) المصدر السابق ، 125/1 .
(111) المصدر نفسه ، 370/2 .
(112) المصدر نفسه ، 60/4 .
(113) المصدر نفسه ، 120/1 .
(114) المصدر نفسه ، 39/4 .
(115) المصدر نفسه ، 2/ 114.
(116) ألفريد أدلر : الطَّبِيعَة البَشَرِيَّة ، ص 214 - 215 .
(117) المرجع السابق ، ص 79.
(118) طه حسين : مع المتنبي ، ص 42 .
(119) المرجع السابق ، ص 43 .

(120) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 160/3.
(121) المصدر السابق ، 281/2 .
(122) طه حسين : مع المتنبي ، ص 103- 104 .
(123) انظر : المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 115/2- 122 .
(124) طه حسين : مع المتنبي ، ص 104 .
(125) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 91/4 – 92 .
(126) عبد الرقيب أحمد البحيري : الديناميات الوظيفيَّة للشخصيَّة النرجسيَّة ، ص 47 .
(127) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 15/1 .
(128) المصدر السابق ، 3/ 270 .
(129) المصدر نفسه ،319/1 ، 324 .
(130) المصدر نفسه ، 341/2 .
(131) المصدر نفسه ، 148/2 - 151.
(132) ألفريد أدلر : معنى الحياة ، ترجمة عادل نجيب بشري ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2005م ، ص 78- 81 .
(133) محمود محمد شاكر: المتنبي ، ص 259 .
(134) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 366/1 .
(135) المصدر السابق ، 228/3 .
(136) المصدر نفسه ، 197/4 .
(137) طه حسين : مع المتنبي ، ص 135.
(138) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 92/4 ، 94 .
(139) المصدر السابق ، 107/4 .
(140) طه حسين : مع المتنبي ، ص 156- 157 . وانظر : المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 115/2 .
(141) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 325/3 .
(142) المصدر السابق ، 340/3 .
(143) طه حسين : مع المتنبي ، ص 199 .
(144) يوسف البديعيّ : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص 87 - 88 .
(145) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 70/1.
(146) يوسف البديعيّ : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص 88 .
(147) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 91/3- 92 .
(148) المصدر السابق ، 95/2- 96 .
(149) عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ، ص 132 .
(150) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 140/2.
(151) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسية ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 38.
(152) ريجيس بَلاشِير : أبو الطيب المتنبي ؛ دراسة في التاريخ الأدبي ، ص 84 .

(153) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 2/ 232.
(154) ريجيس بَلاشِير : أبو الطيب المتنبي ؛ دراسة في التاريخ الأدبي ، ص 362 - 363 .
(155) يوسف البديعيّ : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص 170 .
(156) عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ، ص 128 .
(157) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسية ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 39.
(158) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 323/1 .
(159) المصدر السابق ، 151/1 .
(160) المصدر نفسه ، 260/3.
(161) المصدر نفسه ، 191/1.
(162) المصدر نفسه ، 45/4.
(163) المصدر نفسه ، 1/ 228.
(164) المصدر نفسه ، 188/2.
(165) المصدر نفسه ، 193/3 .
(166) المصدر نفسه ، 45/4.
(167) المصدر نفسه ، 213/1.
(168) المصدر نفسه ، 1/ 65.
(169) المصدر نفسه ، 60/4.
(170) المصدر نفسه ، 148/2.
(171) المصدر نفسه ، 212/4.
(172) المصدر نفسه ، 109/3.
(173) المصدر نفسه ، 163/4.
(174) المصدر نفسه ، 263/1.
(175) المصدر نفسه ، 140/1.
(176) يوسف البديعي : الصبح المُنْبِي عن حيثية المتنبي ، ص 105.
(177) عبد الرقيب أحمد البحيري : الديناميات الوظيفيَّة للشخصيَّة النرجسيَّة ، ص 59 .
(178) ريجيس بَلاشِير : أبو الطيب المتنبي ؛ دراسة في التاريخ الأدبي ، ص 85 .
(179) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسية ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 32.
(180) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 2/ 172.
(181) المصدر السابق ، 1/ 15.
(182) المصدر نفسه ، 1/ 242 .
(183) ابن خَلِّكَان : وفيات الأعيان ، 124/1 .
(184) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 223.
(185) محمود محمد شاكر : المتنبي ، ص 160 .
(186) عبد الرقيب أحمد البحيري : الديناميات الوظيفيَّة للشخصيَّة النرجسيَّة ، ص 76 .

(187) المرجع السابق ، ص 130 – 136 .
(188) حسين عبد القادر ، محمد أحمد النابلسيّ : التحليل النفسي ، ص275 .
(189) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 136/4.
(190) طه حسين : مع المتنبي ، ص 336 .
(191) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسية ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 47.
(192) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 237.
(193) المصدر السابق ، 241/4 .
(194) المصدر نفسه ، 395/3 .
(195) المصدر نفسه ، 93/4 .
(196) المصدر نفسه ، 178/3 .
(197) المصدر نفسه ، 46/4 .
(198) المصدر نفسه ، 134/4 .
(199) المصدر نفسه ، 109/4 .
(200) المصدر نفسه ، 93/4 .
(201) المصدر نفسه ، 94/4 .
(202) المصدر نفسه ، 283/4 .
(203) المصدر نفسه ، 321/1.
(204) المصدر نفسه ، 322/1.
(205) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 74 .
(206) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 367/2.
(207) بيلا غرانبرغر: النرجسية ؛ دراسة نفسية ، ص 60 .
(208) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 48.
(209) طه حسين : مع المتنبي ، ص 177 .
([210]) ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط5 ، 1401هـ - 1981م ، 100/1.
([211]) القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1386هـ - 1966م ، ص 3 .
(212) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 187/1.
([213]) محمد بن شريفة : أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1986م ، ص 108 .
(214) عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ، ص 133 .
(215) المرجع السابق ، ص 134 .
(216) المرجع نفسه ، ص 138 .

(217) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 149/2.
(218) ألفريد أدلر : الطَّبِيعَة البَشَرِيَّة ، ترجمة عادل نجيب بشري ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2005م ، ص 81 - 82 .
(219) المرجع السابق ، ص 377.
(220) الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، 237/1 .
(221) أحمد علي محمد : المحور التجاوزي في شعر المتنبي ؛ دراسة في النقد التطبيقيّ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2006 م ، ص 27 .
(222) يوسف البديعيّ : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص 92 .
(223) المصدر السابق ، ص 71 .
(224) شكري عياد : اللغة والإبداع ؛ مبادئ علم الأسلوب العربي ، انترناشونال برس ، القاهرة ، ط1 ، 1988م ، ص 133 .
(225) عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ؛ قضاياه وظواهره الفنية واللغوية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3 مزيدة ومنقحة ، 1966م ، ص 44 .
(226) القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص 95 .
(227) المصدر السابق ، ص 97 .
(228) المصدر نفسه ، ص 98 .
(229) يشكو كثيرون في هذا العصر ما يسمونه (الغموض) في الأدب الحديث والفلسفة الحديثة وإبداعات فنون الرسم والنحت ؛ ولهذا (الغموض) أبعادٌ بارزة في نظريات النقد وفلسفة الجمال المعاصر ؛ فمنذ أن كتب الناقد ويليام إمبسون كتابه الشهير (سبعة أنماط من الغموض) ، ونشره عام 1930م ، أصبحت مسألة (الغموض) إحدى قضايا الفكر والإبداع والنقد الحديث ، وصارت مشكلة تبدو وكأنها بلا حَلّ ، على الرغم من أن إمبسون سَعَى لحَلِّها ، وتقول نظرية إمبسون : إن الأشياء ليست دائماً ـ في حقيقتها ـ مثلما تبدو في الظاهر ، وإن الكلمات تُوحِي بقدر ما تُشِير ، وتتضمن بقدر ما تكشف ؛ بحيث يمكن لكل مَنْ يُعِيدُ قراءتها ـ إذا كانت عملاً أدبيًّا ـ أن يكشف دلالة جديدة أو معنى مختلف لم يكشفه قارئ قبله . سامي خشبة : مصطلحات فكرية ، ص 179 - 180.
(230) إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ؛ نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، دار الثقافة ، بيروت ، ط4 ، 1404هـ - 1983م ، ص252 .
(231) ابن جني : الفَتْحُ الوَهْبِيُّ عَلَى مُشْكِلاتِ المُتَنَبِّي ، تحقيق محسن غياض ، سلسلة كتب التراث (21) ، دار الحرية ، بغداد ، الجمهورية العراقية ، 1973م .
(232) ابن وكيع التنيسي : المُنْصِف فِي نَقْدِ الشِّعْرِ وَبَيَان سَرِقَات المُتَنَبِّي وَمُشْكِل شِعْرِه ، قَرَأَه وقَدَّمَ له وعَلَّقَ عليه محمد رضوان الداية ، دار قتيبة ، دمشق ، 1402هـ - 1982م .
(233) ابن سيده : شَرْحُ مُشْكِلِ شِعْر المُتَنَبِّي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دمشق ، دار التراث ، 1975م .
(234) محمد بن شريفة : أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ، ص123 .
(235) انظر : المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 42/1 ، 46/2 ، 117/3 ، 260/3، 152/4 على الترتيب.

(236) يوسف البديعي : الصُّبْح المُنْبِي عن حيثية المُتَنَبِّي ، ص 431 .
(237) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 3/ 34 .
(238) المصدر السابق ، 3/ 298.
(239) المصدر نفسه ، 1/ 290- 291.
(240) المصدر نفسه ، 259/3.
(241) المصدر نفسه ، 259/3.
(242) المصدر نفسه ، 91/3.
(243) المصدر نفسه ، 112/4.
(244) المصدر نفسه ، 374/2.
(245) المصدر نفسه ، 291/1.
(246) المصدر نفسه ، 371/3.
(247) المصدر نفسه ، 91/3.
(248) المصدر نفسه ، 271/1.
(249) المصدر نفسه ، 11/1.
(250) المصدر نفسه ، 101/4 .
(251) المصدر نفسه ، 371/2.
(252) المصدر نفسه ، 9/2.
(253) محمود محمد شاكر: المتنبي ، ص 381 .
(254) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 375/2.
(255) انظر : المصدر السابق ، 117/3، 228 ، 340 ، 373 على الترتيب .
(256) ألفريد أدلر : الطَّبِيعَة البَشَرِيَّة ، ص 86 .
(257) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسية ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 37.
(258) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 70/4 .
(259) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ، ص 39 .
(260) المرجع السابق ، ص 50.
(261) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 209 .
(262) المصدر السابق ، 142/2 – 144 .
(263) المصدر نفسه ، 2/ 314.
(264) المصدر نفسه ، 117/3.
(265) المصدر نفسه ، 26/4.
(266) ريجيس بَلاشِير : أبو الطيب المتنبي ؛ دراسة في التاريخ الأدبي ، ص 167 .
(267) ألفريد أدلر : الطَّبِيعَة البَشَرِيَّة ، ص 218 .
(268) عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ، ص 135 .
(269) ويُؤَيِّدُ ذلك أنه سَمَّى ابنه مُحَسَّدًا .

(270) عبد الحليم حفني : مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987م ، ص 187 .
(271) عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ، ص 136 .
(272) كان من أثر الحُسَّاد نَشَاط النَّقد في بلاط سيف الدولة ، وفي نقد شعر المتنبي بوجهٍ خاص .
- محمد مندور : النقد المنهجيّ عند العرب ، ومنهج البحث في الأدب واللغة ؛ مترجم عن الأستاذين لانسون ومايه ، نهضة مصر ، القاهرة ، 1996م ، ص 174 .
(273) طه حسين : مع المتنبي ، ص 172 .
(274) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 141/2.
(275) المصدر السابق ، 323/2.
(276) المصدر نفسه ، 139/4.
(277) المصدر نفسه ، 289/1.
(278) المصدر نفسه ، 9/2.
(279) المصدر نفسه ، 308/1.
(280) المصدر نفسه ، 12/1.
(281) المصدر نفسه ، 223/4.
(282) المصدر نفسه ، 60/4.
(283) المصدر نفسه ، 59/4- 60.
(284) المتنبي : شرح شعر المتنبي ، أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الأندلسي المعروف بابن الأفليلي (ت441هـ) ، دراسة وتحقيق مصطفى عليان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1418هـ - 1998م ، 177/2 . لم ترد هذه القصيدة في ديوان المتنبي المنسوب للعُكْبَرِيّ .
(285) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 228/3 .
(286) المصدر السابق ، 314/2.
(287) المصدر نفسه ، 302/2.
(288) عبد الحليم حفني : مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية ، ص 291 .
(289) بيلا غرانبرغر: النرجسية ؛ دراسة نفسية ، ص 41 .
(290) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 23/3 .
(291) محمد زكي العشماوي : موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، الأعمال النقدية الكاملة (6) ، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، 1430هـ - 2009م ، ص183 .
(292) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 145.
(293) أحمد علي محمد : المحور التجاوزي في شعر المتنبي ، ص65 .
(294) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 39.
(295) المصدر السابق ، 119/4.
(296) المصدر نفسه ، 2/ 360.

(297) المصدر نفسه ، 3/ 225.
(298) يوسف البديعي : الصُّبْح المُنْبِي عن حيثية المُتَنَبِّي ، ص 105.
(299) ألفريد أدلر : الطَّبِيعَة البَشَرِيَّة ، ص 191 .
(300) داود سلوم : مقالات في النقد والأدب ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط2 ، 1407هـ - 1987م ، 305 .
(301) عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ، ص 127 .
(302) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 233 .
(303) عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ، ص 126 .
(304) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 270/1.
(305) طه حسين : مع المتنبي ، ص 91 .
(306) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 2/ 191- 192 .
(307) الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، 142/1 -143 .
(308) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 2/ 120- 121 .
(309) المصدر السابق ، 2/ 216.
(310) المصدر نفسه ، 173/1 .
(311) يوسف البديعي : الصُّبْح المُنْبِي عن حيثية المُتَنَبِّي ، ص 112 .
(312) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 182/1 .
(313) المصدر السابق ، 198/1.
(314) المصدر نفسه ، 290/4 .
(315) المصدر نفسه ، 28/2 ، 30 .
(316) ريجيس بَلاشِير : أبو الطيب المتنبي ؛ دراسة في التاريخ الأدبي ، ص 293 .
(317) داود سلوم : مقالات في النقد والأدب ، ص 307 – 308 .
(318) حسين عبد القادر ، محمد أحمد النابلسيّ : التحليل النفسي ، ص294 – 299 .
(319) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 145.
(320) المصدر السابق ، 1/ 42.
(321) المصدر نفسه ، 3/ 177.
(322) المصدر نفسه ، 2/ 23.
(323) المصدر نفسه ، 4/ 233 .
(324) المصدر نفسه ، 1/ 106 .
(325) المصدر نفسه ، 2/ 149.
(326) المصدر نفسه ، 4/ 159.
(327) المصدر نفسه ، 1/ 271.
(328) المصدر نفسه ، 3/ 279.
(329) يوسف البديعي : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص 105.
(330) ريجيس بَلاشِير : أبو الطيب المتنبي ؛ دراسة في التاريخ الأدبي ، ص 113 .
(331) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 193/1 .

(332) المصدر السابق ، 163/4 .
(333) المصدر نفسه ، 1/ 121.
(334) المصدر نفسه ، 360/3.
([335]) محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ، 312 .
(336) طه حسين : مع المتنبي ، ص 176 .
(337) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 147/3.
(338) ألفريد أدلر : الطَّبِيعَة البَشَرِيَّة ، ص 167 .
(339) المرجع السابق ، ص 85 – 86 .
(340) طه حسين : مع المتنبي ، ص 74 .
(341) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 39.
(342) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(343) المصدر نفسه ، 22/2 .
(344) المصدر نفسه ، 42/1 .
(345) المصدر نفسه ، 61/2.
(346) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 1/ 180.
(347) المصدر السابق ، 3/ 378 .
(348) محمد زكي العشماوي : موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، ص 179- 180 .
(349) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسية ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 37.
(350) مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي ، ص 243.
(351) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، ص 146 .
(352) خينخل : نظرية التحليل النفسي في العصاب ، ترجمة صلاح مخيمر ، عبده ميخائيل رزق ، مكتبة الأنجلو المصريَّة ، القاهرة ، 1969م ، ص 59 .
(353) ريجيس بَلاشِير : أبو الطيب المتنبي ؛ دراسة في التاريخ الأدبي ، ص 47 .
(354) المرجع السابق ، ص 85 .
(355) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 125.
(356) المصدر السابق ، 2/ 113.
(357) المصدر نفسه ، 2/ 269.
(358) المصدر نفسه ، 2/ 292 - 293.
(359) المصدر نفسه ، 4/ 40.
(360) المصدر نفسه ، 1/ 321.
(361) المصدر نفسه ، 1/ 191.
(362) مع المتنبي : طه حسين ، ص 43 .
(363) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 125.

(364) المصدر السابق ، 4/ 138.
(365) المصدر نفسه ، 355/1.
(366) المصدر نفسه ، 190/4.
(367) المصدر نفسه ، 4/ 160.
(368) المصدر نفسه ، 4/ 112.
(369) المصدر نفسه ، 2/ 208.
(370) المصدر نفسه ، 1/ 137.
(371) المصدر نفسه ، 1/ 258.
(372) المصدر نفسه ، 3/ 388.
(373) طه حسين : مع المتنبي ، ص 35.
(374) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 34 .
(375) المصدر السابق ، 70/4 .
(376) المصدر نفسه ، 157/2 – 158 .
(377) إيليا سليم الحاوي : فن الهجاء ؛ وتطوره عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ - 1998م ، ص 597 .
(378) داود سلوم : مقـالات في النقد والأدب ، ص 306 .
(379) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 151/4.
(380) المصدر السابق ، 59/4.
(381) محمد زكي العشماوي : موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، ص181- 182 .
(382) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 40- 42 .
(383) المصدر السابق ، 4/ 43- 44 .
(384) المصدر نفسه ، 4/ 44 .
(385) إبراهيم عبد القادر المازني : حصاد الهشيم ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1961م ، ص 145 .
(386) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 1/ 190 .
(387) محمد زكي العشماوي : موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، ص181 .
(388) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 4/ 209 .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

*** ابن جنِّيّ – أبو الفتح عُثْمَان (ت392هـ) :**

1- الفَتْحُ الوَهْبِيُّ عَلَى مُشْكِلاتِ المُتَنَبِّي ، تحقيق محسن غياض ، سلسلة كتب التراث (21) ، دار الحرية ، بغداد ، الجمهورية العراقية ، 1973م .

*** ابن خَلِّكَان – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ) :**

2- وَفَيات الأعيان وأَنْبَاء أَبْنَاء الزَّمَان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1970م .

*** ابن رشيق القيروانيّ – أبو عليّ الحسن (ت456هـ) :**

3- العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط5 ، 1401هـ – 1981م .

*** ابن وَكيع التنيسي – أَبُو مُحَمَّد الحَسَن بْن عَليّ (ت393هـ) :**

4- المُنْصف في نَقْد الشِّعْر وبَيَان سَرِقَات المُتَنَبِّي ومُشْكِل شِعْره ، قَرأَه وقَدَّم له وعَلَّقَ عليه محمد رضوان الداية ، دار قتيبة ، دمشق ، 1402هـ – 1982م .

*** الأصفهاني – أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن (ت بعد سنة 410هـ) :**

5- الواضح في مشكلات شعر المتنبي ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968م .

*** الثَّعَالبيّ – أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ) :**

6- يَتِيمَة الدَّهْرِ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ العَصْرِ ، شرح وتحقيق محمد مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1403هـ – 1983م

*** القاضي الجُرْجَانِيّ – أبو الحسن علي بن عبد العزيز (ت392هـ):**

7- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1386هـ- 1966م .

*** المُتَنَبِّي – أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت354هـ):**

8- ديوان أَبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي ؛ المُسَمَّى بِالتِّبْيَان فِي شَرْحِ الدِّيوَان ، المنسوب للعُكْبَرِيّ (ت616هـ) ، ضَبَطَهُ وصَحَّحَهُ ووَضَع فَهَارِسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
9- شرح شعر المتنبي ، أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الأندلسي المعروف بابن الأفليلي (ت441هـ) ، دراسة وتحقيق مصطفى عليان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1418هـ - 1998م .
* **يوسف البديعيّ (ت1073هـ) :**
10- الصُّبْح المُنْبِيّ عن حيثية المُتَنَبِّي ، تحقيق مصطفى السقا ، محمد شتا ، عبده زيادة عبده ، سلسلة ذخائر العرب (36) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963م .

ثانيًا : المراجع العربية :

* **إحسان عباس :**
11- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ؛ نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، دار الثقافة ، بيروت ، ط4 ، 1404هـ - 1983م .
* **أحمد أمين :**
12- فَيضُ الخَاطِرِ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1943م .
* **أحمد علي محمد :**
13- المحور التجاوزي في شعر المتنبي ؛ دراسة في النقد التطبيقي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2006 م .
* **إبراهيم عبد القادر المازني :**
14- حصاد الهشيم ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1961م .
* **إيليا سليم الحاوي :**
15- فن الهجاء ؛ وتطوره عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ - 1998م .
* **حامد عبد القادر :**

16- دراسات في علم النفس الأدبي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، 1949م .

*** حسين عبد القادر ، محمد أحمد النابلسيّ :**

17- التحليل النفسي ؛ ماضيه ومستقبله ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 2002م .

*** داود سلوم :**

18- مقالات في النقد والأدب ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط2 ، 1407هـ - 1987م .

*** سامي خشبة :**

19- مُصْطَلَحَات فِكْرِيَّة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1997م .

*** شكري عياد :**

20- اللغة والإبداع ؛ مبادئ علم الأسلوب العربي ، انترناشونال برس ، القاهرة ، ط1 ، 1988م .

*** طه حسين :**

21- مع المتنبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط13، 1986م .

22- خصام ونقد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2014م .

*** عباس محمود العقاد :**

23- مطالعات في الكتب والحياة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ،1987م .

*** عبد الحليم حفني :**

24- مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987م .

*** عبد الرقيب أحمد البحيري :**

25- الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1987م .

26- استبيان الشخصية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1985م .

27- الديناميات الوظيفيَّة للشخصيَّة النرجسيَّة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 2007م .

* **عبد الوهاب عزام :**

28- ذِكْرَى أبي الطيب بعد ألف عام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2014م .

* **عز الدين إسماعيل :**

29- الشعر العربي المعاصر ؛ قضاياه وظواهره الفنية واللغوية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3 مزيدة ومنقحة ، 1966م .

* **محمد بن شريفة :**

30- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1986م .

* **محمد زكي العشماوي :**

31- موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، الأعمال النقدية الكاملة (6) ، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، 1430هـ - 2009م .

* **محمد مندور :**

32- النقد المنهجيّ عند العرب ، ومنهج البحث في الأدب واللغة ؛ مترجم عن الأستاذين لانسون ومايبه ، نهضة مصر ، القاهرة ، 1996م .

* **محمود محمد شاكر :**

33- المتنبي ؛ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مطبعة المدني ، القاهرة ، دار المدني ، جدة ، 1407هـ - 1987م .

* **مصطفى حجازي :**

34- التخلف الاجتماعي ؛ مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، المركز الثقافيّ العربيّ ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 9 ، 2005م .

ثالثًا : المراجع الأجنبية المترجمة :

* **أدلر ، ألفريد :**

35- الطَّبِيعَة البَشَرِيَّة ، ترجمة عادل نجيب بشري ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2005م .
36- مَعْنَى الحَيَاة ، ترجمة عادل نجيب بشري ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2005م .
* **برفين ، لورانس :**
37- علم الشخصية ، ترجمة عبد الحليم محمود السيد ، أيمن محمد عامر ، محمد يحيى الرخاوي ، مراجعة عبد الحليم محمود السيد ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2010م .
* **بَلاشير ، ريجيس :**
38- أبو الطيب المتنبي ؛ دراسة في التاريخ الأدبي ، ترجمة إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 1405هـ - 1985م .
* **خينخل :**
39- نظرية التحليل النفسي في العصاب ، ترجمة صلاح مخيمر ، عبده ميخائيل رزق ، مكتبة الأنجلو المصريَّة ، القاهرة ، 1969م .
* **ريكور ، بول :**
40- في التفسير ؛ محاولة في فرويد ، ترجمة وجيه أسعد ، أطلس للنشر والتوزيع ، دمشق ، الجمهورية العربية السورية ، ط1 ، 2003م .
* **غرانبرغر ، بيلا :**
41- النرجسية ؛ دراسة نفسية ، ترجمة وجيه أسعد ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2000م .
* **فرويد ، سيجموند :**
42- الأَنَا والهُوَ ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، بيروت ، ط4 ، 1402هـ - 1982م .
43- ثلاث مقالات في نظرية الجنس ، ترجمة سامي محمود على ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، 1963م .
44- ما فوق مبدأ اللذة ، ترجمة إسحاق رمزي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، 1994م .

45- حياتي والتحليل النفسي ، ترجمة مصطفى زيور ، عبد المنعم المليجي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، 1994م .
46- الحَيَاةُ الجِنْسِيَّةُ ، ترجمة جُورج طَرابيشـــي ، دار الطليعـــة للطباعـــة والنشر ، بيروت ، لبنان ط3 ، 1999م .

رابعًا : الدوريات :

*** أحمد عتمان :**
47- على هامش الأسطورة الإغريقية في شعر السياب ، مجلة فصول ، الأدب المقارن ، الجزء الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مج 3 ، ع 4 ، يوليو وأغسطس وسبتمبر 1983 م .
*** علي كامل :**
48- المتنبي والنفس ، مجلة آفاق عربية ، بغداد ، العدد 4 ، ديسمبر 1977م .
*** يوسف سامي اليوسف :**
49- لماذا صمد المتنبي ؟ ، مجلة المعرفة السورية ، سورية ، العددان 119، 120 ، 1978م .